الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة 8 ماي 1945 قالمة كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي		Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique Université 8 mai 1945 Guelma Département de langue et littérature Arabe

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستـــر
تخصص: أدب جزائري

فوبيا الإسلام بين الواقع والمتخيل في رواية " رماد الشرق " -خريف نيويورك الأخير- لواسيني الأعرج

مقدمة من قبل:
الطالب (ة): مباركة بوترعة
الطالب (ة): نجية حراث

تاريخ المناقشة: 2024/06/22

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
أحلام عثامنية	أستاذا محاضرا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
فوزية براهيمي	أستاذا محاضرا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
العايش سعدوني	أستاذا محاضرا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الدراسية: 2024/2023

شكر وعرفان

الحمد لله على إنهاء هذا البحث، والشكر الجزيل موجه إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة **" فوزية براهيمي"** على قبولها مهمة الإشراف على هذا الموضوع، وعلى توجيهاتها السّديدة، ونصائحها القيمة، وصبرها الطّويل علينا، في سبيل إخراج هذا العمل، والشكر كذلك موجه الى أعضاء لجنة المناقشة، الذين قبلوا مناقشة هذا البحث، وتجشموا عناء قراءته وفحصه فلهم منا ألف تحية وتقدير.

مقدمة

مقدمة

إن الإساءة إلى الإسلام والمسلمين في الوعي الغربي المتعصب ليست أمرا جديدا، فقد بدأ المسلم في عهد الحرب الصليبية وما قبلها، إنسانا مهووسا بالعنف، والتّدين المبالغ فيه، كما وصف فلاسفة عصر النهضة الأوروبية المسلمين، بالجمود الفكري، وظهر المسلم في الطور الإستعماري مخلوقا يجافي العلم والمنطق، أما في زمن العولمة فظهر بصفة جديدة هي **الإرهابي** ومع أن الممارسات السلبية من قبل بعض المسلمين المتعصبين ساعدت على ذلك، فإن صورة المسلم والإسلام المخترع في الذّهن الغربي كانت حاضرة وجاهزة دائما عبر التاريخ الطويل.

ولقد جعلت أجهزة الإعلام المتعولمة من تشويه صورة المسلم والإساءة الى الإسلام، بضاعة رائجة فزادت في تعميق الكراهية والحقد إتجاه الآخر المختلف، الأمر الذي دعا إلى المناداة بطرد المسلمين من البلدان الأوروبية، ونتيجة لهذا الهجوم على الإسلام، الذي أفضى إلى صورة سلبية عن المسلم، استولدت صورة جديدة هي الإرهابي، المهدّد بالثقافة الغربيّة والمخرّب لاقتصاد الغرب، ويهدّد أسلوب حياة الأوروبيين وسلامتهم وأمنهم، فظهرت في الكثير من بلدان الغرب بعض مظاهر التّعبير عن الخوف من الإسلام والمسلمين، وهو ما أصبح يعرف في الأوساط الغربية بظاهرة **"الإسلاموفوبيا"**، وقد وجدت هذه الظّاهرة طريقها إلى الأدب، وتجسدت بوضوح في رواية **"رماد الشرق" خريف نيويورك جزء (1)** وعليه فإن هذا البحث يغوص في ثنايا الإبداع الأدبي المعاصر، للكشف عن تجليات **الظاهرة الإسلاموفوبيا** في الرواية الجزائرية .

من أسباب اختيارنا للموضوع الموسوم ب "فوبيا الإسلام بين الواقع والمتخيل «في رواية رماد الشرق خريف نيويورك الأخير لواسيني الاعرج:

- إحساسنا بإبداعية الروائي ورقيه الفكري في معالجة القضايا القومية.
- انجذابنا للظاهرة واستفزازها لنا لما تحمله من دلالات متنوعة.
- لم تلق رواية "رماد الشرق" الحظ الوافر في الدراسة مثل بقية روايات واسيني الاعرج.
- تميز رواياته بالعمق الفكري والجدية.
- شغفنا الأدبي للإطلاع على الروايات والغوص في خباياها.

وهذا ما جعلنا نطرح الإشكالية التالية:

كيف تجلت ظاهرة الإسلاموفوبيا في الرواية بين الواقع والمتخيل؟ وقد تفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات منها:

- ماهي أبعاد الظاهرة على المستوى السردي والدلالي؟
- وكيف برزت بين الواقع والمتخيل؟

والهدف من هذه الدراسة هو:

- تحديد وضبط مصطلح الإسلاموفوبيا وربطه بالمجال الأدبي.
- الكشف عن الدور الذي تلعبه الكتابة الروائية في مواجهة ظاهرة الإسلاموفوبيا وذلك من خلال رواية" رماد الشرق" لواسيني الأعرج.
- محاولة إبراز ظاهرة (الإسلاموفوبيا) عند الروائيين العرب (واسيني الأعرج).
- طرح وجهات نظر متباينة تربط هذه الظاهرة بالإسلام كدين وكممارسة بالإرهاب، وتوضح الفرق بين العرب والغرب في ذلك.

- تسليط الضوء على ممارسات المسلمين ووصفهم بالعنف والتطرف، وغض الطرف عن العنف والحروب الناجمة عن المسيحيين واليهود، مما يدفعنا للتساؤل: لماذا لا نجد مصطلح اليهودفوبيا، ولماذا الإسلام بالتحديد، وهو ما يؤكد أنه ضرب للعرب وتشويه لدينهم؟
- هل تمكنت الرؤية السردية المعاصرة الحبلى بالأحلام والذكريات والتماهي في شخصيات تاريخية من سبر أغوار الظاهرة والتمكن من علاجها؟

اقتضت إشكالية البحث أن يبنى على الخطة الآتية:

- **الفصل الأول**: مفاهيم ومصطلحات.
- **الفصل الثاني:** جاء موسوما بـ: تمثّلات الظاهرة على المستوى السّردي في رواية "رماد الشرق" والمتمثلة في: قراءة في العنوان ـ الشخصيات –المكان –الزمان –الحوار –الوصف.
- **الفصل الثالث**: أبرزنا فيه تمثّلات ظاهرة الإسلاموفوبيا على المستوى الدلالي، على مستوى الواقع الراهن، وعلى مستوى الواقع التاريخي، ثم أزمة الهوية والصراع بين الأنا والآخر، ودور الصحافة والإعلام.

لنختم بحثنا بالرسالة أو المشروع الموجه من قبل الروائي لمحاربة هذه الظاهرة.

وتجدر الإشارة إلى أن الإسلامو فوبيا تم تناوله في مجالات أخرى كعلم الاجتماع والعلوم السياسية ولهذا ارتأينا دراسته في المجال الأدبي.

تطلب البحث في هذا الموضوع الاعتماد على المنهج الوصفي، كما استعنا بمناهج أخرى مثل: المنهج السّيميائي، واعتمدنا جملة من المصادر والمراجع من بينها:

- ✓ خرافة الإسلاموفوبيا للدراجي زروخي
- ✓ شعرية المحكي، دراسات في المتخيل السردي العربي لـ: فيصل غازي النعيمة.
- ✓ رواية "رماد الشرق" خريف نيويورك الأخير لـ: واسيني الأعرج ج1 كمدونة دراسة.

اعترضت سبيلنا ونحن ننجز هذا البحث جملة من الصعوبات نذكر منها: ضيق الوقت وتشعب الموضوع وصعوبة حصره، إضافة إلى أن الموضوع جديد لم يتطرق إليه من قبل في المجال الأدبي.

في الأخير نتقدم بجزيل الشكر وأسمى عبارات الإمتنان للدكتورة **''فوزية براهيمي''** التي أشرفت ونصحت ووجهت وصححت، فكانت نعم الموجه والمصلح، فجزاها الله عنا خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

الفصل الأول

مفاهيم ومصطلحات

1- مفهوم الإسلاموفوبيا
أ- الإسلام (لغة واصطلاحا)
ب- فوبيا (لغة واصطلاحا)
ج-ملابسات ظهور الإسلاموفوبيا
2- الجذور التاريخية للظاهرة
3- ارهاصات نشأة الظاهرة
4- أسباب ربط الإسلام بالمصطلح

تمهيد

قبل التعمق في ظاهرة الإسلاموفوبيا، ينبغي بداية إعطاء تعريف واضح لهذه الظاهرة لأن هذا المصطلح حديث العهد في المجال الأكاديمي، قديم النشأة والمظاهر.

فقد وجدت عدة دراسات تناولت هذه الظاهرة وأسباب صعودها، من بينها قراءات ثقافية ترى أن صعود الإسلاموفوبيا هو انعكاس لمشاعر سلبية عميقة مدفونة في وعي المواكن الغربي ضد الإسلام والمسلمين وتعبير عن تحيز ثقافي وتاريخي ضد الإسلام كدين وضد المسلمين وحضارتهم، فيما تربط قراءات أخرى الظاهرة ببعض الأحداث الدولية التي أثرت بقوة على العلاقات بين العالم الإسلامي والمجتمعات الغربية خلال السنوات الأخيرة. أما القراءات التي تعتمد الرؤية السياسية الاقتصادية، فترى أن صعود الإسلاموفوبيا خلال السنوات الأخيرة، انعكاس لبعض التغيرات المجتمعة الكبرى التي لحقت بالمجتمعات الغربية والإسلامية خلال العقود الأخيرة. وما يعاب على هذه القراءات دراستها للظاهرة كظاهرة منعزلة في حين تؤكد النظريات التحليلية أنه لا يمكن رد الحدث المتكرر الى مبدأ المصادفة وقراءته كظاهرة معزولة، فلدى تكرار الحدث يتحول الى ظاهرة لها آلياتها المتسببة في تكرار ظهورها.[1]

فمصطلح الإسلاموفوبيا من المصطلحات حديثة التداول نسبيا في الفضاء المعرفي المعني بصورة خاصة بعلاقة الإسلام بالغرب.

1- مفهوم الإسلاموفوبيّا:

- ينقسم مصطلح الإسلاموفوبيّا الى كلمتين:

أ- الإسلام (islam):

- **لغة:** أصل مادة اشتقاقه هي السين واللام والميم، يقول العلامة اللغوي بن فارس في مادة "سلم": السين، اللام، الميم، معظم بابه من الصحة والعافية، فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى قال أهل العلم: الله، جل ثناؤه، هو السلام، لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء. ثم يقول: ومن الباب أيضا: الإسلام وهو: الانقياد، لأنه يسلم من الإباء والامتناع.[2]
- **اصطلاحا:** هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطّاعة والخلوص من الشرك ومعاداة أهله.

[1] محمد أحمد النابلسي، **الإسلاموفوبيا كمظهر لجنون العظمة الغربي**، المجلة العربية للعلوم النفسية، العدد 38، 2015 ص1

[2] أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، الجزء 3، دار الجميل للنشر والتوزيع والإعلام، مصر 1999م، ص90.

قال تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي ومَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ -لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوّلُ المُسْلِمِينَ»[1]. وقال تعالى: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيْنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الأَخِرَةِ مْنَ الخَاسِرَينَ»[2] [آل عمران: 85]

ب- **فوبيا (phobia):** مشتق من اللفظ اليوناني phobos يعرفها معجم مصطلحات الطب النفسي " فوبيا أو رهاب وخوف مرضي... هي الخوف المبرر من مصادر وأشياء معينة".[3]

فمصطلح الفوبيا أو الرهاب، مستمد من قاموس الأمراض النفسية، يعبر عن نوع من العصاب القهري، وحالة من حالات الوسواس القهري، حيث لا يملك صاحبه (المريض) القدرة على التحكم في ردود أفعاله عند تعرضه لموضوع خوفه، فيضيق صدره ويجف ريقه، وتتزايد ضربات قلبه ويشحب وجهه، وترتعش أطرافه ليدخل في حالة فعلية من الفزع المسيطر عليه. ومخاوف مريض الرهاب لا تستند لتهديد فعلي، بل هو اضطراب نفسي وإدراكي يعود لمعايشته خبرات مؤلمة حيث وعند مواجهته لموضوع خوفه يقوم باستحضار، -وبصورة لا إرادية – مظاهر الاضطراب التي عايشها بشكل قد يكون أكثر حدة.[4]

فالإسلاموفوبيا إذا مصطلح غير متفق عليه، غالبا ما يستخدم ليعني الخوف الذي لا أساس له أو الكراهية أو التحيز ضد الإسلام والمسلمين. وانتقاء مصطلح " الإسلاموفوبيّا" بدلا من العداء الإسلام والمسلمين" يهدف الى تبرير هذا العداء بمرض نفسي "الفوبيا"، وهو تبرير لممارسة العداوة ضد الإسلام، وشيوع المصطلح هو في حقيقته انعكاس لتنامي ظاهرة بحث لها الغرب عن تسمية إضافة لمصطلح الإسلاموفوبيا، ظهرت مصطلحات مشابهة مستحدثة في العقود الأخيرة مثل Xenophobia وتعني الخوف من الغرباء والأجانب ومصطلح Muslim phobia (مسلم فوبيا)، الذي يتقاطع كثيرا مع مصطلح الإسلاموفوبيا.

تناول العديد من الباحثين على اختلاف إنتمائهم السياسي والديني والعرقي تعريف مصطلح الإسلاموفوبيا، وهذه بعض آرائهم.

- من وجهة نظر المسلمين:

عرف المسلمون الإسلاموفوبيا على أنها (عزل وتمييز ومضايقة وعنف متجذر ضد المسلمين وأتباعهم)؛ بأنه: «ظاهرة تعرف الإسلام على أنه دين إرهابي دموي، يسعى للقتل وسفك الدماء».

[1] سورة الأنعام الآية: 162-163
[2] سورة آل عمران الآية: 85
[3] لطفي الشربيني، معجم مصطلحات الطب النفسي، ص138 تاريخ الإنشاء 27 أغسطس 2006.
[4] خالد سليمان ظاهرة الإسلاموفوبيا قراءة تحليلية، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية، 14 أكتوبر 2006، نقلا عن الموقع: https://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/m_abhath_56.htm

1- من وجهة نظر الغرب:

وينقسم الغرب في تعريف فكرة الإسلام فوبيا بين متعاطف مع المسلمين باعتبارهم من مكونات الشعوب التي ينتمون إليها، والحفاظ على حقوق الأقليات الدينية، وبين معارض للوجود الإسلامي باعتباره تهديدا للحضارة الغربية أو المسيحية ونوضح ذلك فيما يلي:

- المتعاطفون مع المسلمين:

لقد عرف ستيفن شيهي الإسلاموفوبيا بأنه: "هو تشكيل اديولوجي جديد تم التعبير عنه باكتمال انهيار الإتحاد السوفياتي، ولا ترجع أصوله الى الإدارة الأمريكية بعينها، ولا لأحد المفكرين أو الفلاسفة، أو النشطاء، أو أي منفذ إسلامي أو مجموعة مصالح خاصة، أو مركز أبحاث، لكونهم كلهم مسؤولون بأسلوب جمعي عن نشر النمطيات الخبيثة المعادية للمسلمين لتطبيع هيمنة الو. م. أ "[1]

وبهذا التعريف نجد أن الفكرة تأججت في عصرنا بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي وانقسامه الى عدة دول مستقلة، ويشير ضمنيا الى دور الإدارة الأمريكية في جلب تداعيات الظاهرة الى مسح الأحداث الدولية فضلا عن جهات أخرى كان لها دور في نشر هذا الاعتقاد.

- المنظرون للفكرة:

يعرف بعض المنظرين الغربيين فكرة الإسلام فوبيا بأنها: "شعور بالوطنية نتيجة تعلق الشعوب الأوروبية بثقافاتها، فهي حق مشروع، الخوف من تصاعد الصحوة الإسلامية واتجاه المسلمين نحو الإعتماد على الإسلام كمنهج حياة، وهي نتيجة الخوف من رفض المسلمين لقيم وثقافة الغرب التي تسعى الو. م. أ وحلفائها عولمتها على باقي شعوب العالم".

وهو تعريف دقيق يستند على الواقع الذي تحاول الإدارة الأمريكية فرضه على المسلمين في أمريكا نفسها وفي الدول الأخرى، ما جعله مبررا لخوض الحروب والصراعات السياسية مع دول مسلمة.

ج- ملابسات ظهور الإسلاموفوبيا:

يستخدم علماء الاجتماع مثل فيلهلم هايتماير مصطلح الاسلامو فوبيا جنبا الى جنب مع ظواهر مثل العنصرية وكراهية الأجانب ومعاداة السامية، أو حتى ظاهرة كراهية مجموعات من الناس، كما هو الحال أن تكون في موقف سلبي من عامة الشعب المسلم، ومن جميع الأديان والرموز الدينية وممارسات الشعائر الإسلامية.

[1] شتيري عبد المطر، الباحث علي رمضان صالح، الإسلامو فوبيا في الفكر السياسي الغربي، مجلة تكريت للعلوم السياسية ع:11، ص 410-414

وهو مصطلح جديد بمعنى قديم يؤدي الى خوف لا شعوري غير مبرر من مواقف أو أشخاص أو نشاطات أو أجسام معينة وهو بذلك يصنف كمرض نفسي ينبغي علاجه ومن أشكال هذا المرض الخوف من الأماكن والمناطق المرتفعة.(claustrophobia)

وعند إضافة هذه الكلمة الى الإسلام مشكلة (الإسلاموفوبيا) يصبح المعنى خوف مرضي غير مبرر، وعداء ورفض للإسلام والمسلمين وهي ظاهرة لها أسبابها السياسية والاجتماعية لكن يبقى هذا المصطلح يعبر عن مشاعر سلبية التي تجتاح المجتمع الغربي تجاه المسلمين، مشاعر تترجم سلوكيات مجحفة في حق الإسلام والمسلمين وهكذا تتعدد التوصيفات وتختلف التعريفات لما صار يعرف ب(الإسلاموفوبيا)، وأغلب التعريفات التي تساق تتفق في مجملها على اعتبار الإسلام وفوبيا حالة من الرهاب، وتذهب الى القول بأنه مرض نفسي يمثل رد الفعل اتجاه الإسلام، وإن هذا الخوف ليس مرده الى ما يزعم نسبته الى الإسلام بل بالدرجة الأولى مرده الى الجهل فمن جهل شيء عاداه، كأن يقال: " أن الإسلام فوبيا خوف من الاسلام ناتج عن الجهل وما يعنينا هو هذا الرهاب وما نتج عنه من الترهيب الذي صار سمة غالبة في علاقات الغرب بالإسلام بل حتى علاقات بعض المسلمين بالإسلام أيضا.

والحق أنه ليس هناك مرحلة زمنية في التاريخ الأوروبي أو الأمريكي منذ العصور الوسطى وحتى الآن نوقش فيها الإسلام عموما أو بحث خارج نطاق المصالح السياسية والتحيز والعاطفة. وعلى امتداد العصور الوسطى والفترة المبكرة من عصر النهضة، كانت النظرة الى الإسلام على أنه ديانة الرّدة والتجذيف والظلمة ولقد تمت تغطية المسلمين في العصر الحديث باعتبارهم إرهابيين أو موردي بترول وهي صورة تسهم وسائل الإعلام الحديث في تغذيتها مركزة على تقديم صورة المسلم المحارب والعدواني الذي يهدد الحضارة الغربية وقيمتها وهي تعبر عن منهج في المعرفة ويعيد بناء الآخر الذي ينظر إليه على أساس أنه النقيض يعبر حسب هذه الصورة المصنوعة عن الإرهاب والبداوة وتطرف والبترودولار، والديكتاتوريات العسكرية، والحروب الأهلية، في حين أن الغرب يعني الديمقراطية وحقوق الإنسان والتسامح والمدنية

لقد ظلت أوروبا منذ بداية تاريخها المكتوب تنظر الى جيرانها في الشرق بشيء من الخوف ومن الجشع أحيانا، ومن الفضول أيضا ومن الاضطراب في أحيان أخرى[1].

وجود نماذج من التعايش بين الملل خاصة في الأندلس، وتجلى هذا التسامح أكثر في الفترات التي كانت فيها الحضارة الإسلامية قوية، لكن الفترات التي عرفت ضعف المسلمين لم تعرف هذا التسامح إلا في القليل النادر وأقرب الشواهد تلك الحوادث المريعة التي جسدتها المذابح الكثيرة التي نفذها الصليبيون

[1] ينظر، إبراهيم بن محمد الدوسري، الإسلاموفوبيا: ت ت 2024/02/16 https://dram.journals.ekb.eg

عندما دخلوا الى القدس، أو عندما دخلوا أنطاكيا، أو محاكم التفتيش في الأندلس، هذه بعض الصور المأخوذة من التاريخ التي يمكن تقديمها وجها من وجوه صناعة الإسلاموفوبيا عبر التاريخ، على أن تتجلى هذه المعاداة في وقتنا الحالي أصبح أشد مما كان عليه في الماضي، ففي هذا العصر شهدت بعض البلاد الإسلامية مجازر فضيعة في فلسطين وأفغانستان والبوسنة والهرسك والعراق وبورمة وغيرها من بلاد المسلمين.

وفي القرن العشرين ورغم تزايد النفوذ الأوروبي فإن الإسلام مازال في الوعي الأوروبي مصدر التهديد والخوف والرعب.

يمكن إجمال أهم المظاهر الدالة على معاداة الإسلام والمسلمين وبالتالي إيجاد مبرر للخوف فيما يأتي:

- الترويج لمقولة عدوانية الإسلام وعدم قبول الآخر.
- تصوير المسلم في صورة الإرهابي.
- عدم الفصل بين الدين وبين فهم بعض البشر لهذا الدين.[1]

2- الجذور التاريخية لظاهرة الإسلاموفوبيا:

إن ظاهرة الإسلاموفوبيا تبدو ظاهرة حديثة النشأة ترتبط بفترة التسعينات وأحداث 11 سبتمبر 2001 لكن البحث في خلفيات العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي يبرز أن للظاهرة جذورا تاريخية عميقة وليست حديثة النشأة كما تبدو.

فرغم الجذور الدينية المشتركة في أن كل من **المسيحية والإسلام** يتضمنان طرحا يتحدث عن رسالة ومهمة عالميتين، إلا أن الصراع كان يلقي بظلاله على العلاقات بين المسحين والمسلمين ، فبالعودة الى الوراء ساد تاريخ المواجهة على تاريخ التعاون ،لأن الديانتين استمرتا في الانتشار بقارتي **آسيا وإفريقيا** حدثت توترات ونزاعات بين المجتمعات المسيحية والإسلامية بمناطق واسعة.[2]

فعوض أن يكون القرب والجوار الجغرافي عامل تفاهم وتبادل إيجابي، كان على الدوام سببا في تأجيج الصراعات والخلافات وإثارة الأطماع، بحيث أن توسع أي من الخضارتين كان يتم على حساب الآخر... فقد شكل التوسع والنجاح الذين حققها الإسلام في بداياته تحديا عقائديا وسياسيا وحضاريا صعب على الكثيرين فهمه، كما شكل تهديدا للعالم الغربي المسيحي، لذا ركزت المقاربة الغربية لفهم الإسلام على

[1] ينظر ، إبراهيم بن محمد الدوسري، المرجع نفسه .
[2] جون اسبوريتو، الإسلام والغرب عقب 11 سبتمبر/ أيلول: حوار أم صراع حضاري؟، سلسلة محاضرات الإمارات، العدد 74، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، 2003، ص5.

تاريخ الفتوحات والتوسعات التي حققتها الإمبراطورية العربية الإسلامية في عهودها الأولى حسب تعبيرهم بالقوة العسكرية.[1]

لذا شكلت هذه الفتوحات أولى وأبرز الخبرات التي تعرض لها الغرب في علاقته بالعالم الإسلامي وهي التي غرست بذور الخوف من الإسلام في ذهنيته وجعلته يطور نزوعا مرضيا بحكم تفاعله مع ذلك الدين وأتباعه. إذ لم تتوقف تلك الخبرات المؤلمة عند حدود معركة **اليرموك**، بل تعدتها سلسلة طويلة من مواقف المجابهة العنيفة كفتح الأندلس سنة 91هـ، معركة بلاط الشهداء (لابواتييه) سنة 114هـ، التي لو انتصر المسلمون فيها لدخل الإسلام الى باريس نفسها، وفتح القسطنطينية على يد العثمانيين سنة 857هـ.[2]

رغم ذلك إلا أن هناك من يرجع الأساس الأول ظاهرة الخوف من الإسلام والمسلمين الى سبب تاريخي هو الحروب الصليبية التي مثلت لقاء تصادميا دمويا بين الإسلام والغرب.

لم ينته بنهاية الحروب بل استمر من خلال الوقائع التي غذتها الإنتاجات المكتوبة والشفوية لقرون طويلة فظاهرة التشويه للإسلام والتخويف منه تعود الى هذه الحروب (1096 -1292 م) على الشرق الإسلامي، والتي دامت قرنين من الزمن، بل إن الكاتب الغربي والقائد العسكري "جلوب باشا " يرجع هذه الظاهرة الى ظهور الإسلام فيقول: أن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط يعود الى القرن 7 م عندما أعلن البابا أوربان الثاني (1088- 1099 م) الحروب الصليبية على الشرق الإسلامي بدل من صراعاتهم الداخلية، حيث وجه الكنيسة الكاثوليكية لشحن الشعوب الأوروبية وتعبئتهم بواسطة إيديولوجية الكراهية للإسلام وهي ذاتها الإسلاموفوبيا ففي خطابه البابوي أمام الفرسان بمدينة كلير مونت بجنوب فرنسا أفصح البابا عن المقاصد المادية الاستعمارية لهذه الحرب الصليبية للاستيلاء على ثروات الشرق مع تعليق هذه المقاصد بالإيديولوجية الدينية وبالكراهية للإسلام والتخويف من المسلمين وبهذا صنع في خطابه لإعلان الحرب ظاهرة الإسلاموفوبيا من قبل اثني عشر قرنا.

لقد رسخت تلك الحروب بصورة بالغة السلبية في العقلية والنفسية العربية والإسلامية لغرب متوحش يحقد على الإسلام وحضارته، وتكرست هذه الظاهرة أيضا في المرحلة الكولونيالية التي جاءت بأشكال من التعامل بين الإنسان الغربي الأبيض والآخرين، قوامها نوع من التعالي والمركزية الغربية، فزحف الاستعمار الغربي على العالم الإسلامي كان في رأي الكثير من العرب والمسلمين استمرار لحملات

[1] ينظر، عاطف الجولاني، الأطروحات الغربية والإسلام في توصيف علاقة الغرب بالإسلام، ورقة مقدمة في مؤتمر رؤية استراتيجية لواقع الأمة، 24 أكتوبر، نقلا عن الموقع: http://www.islam4africa.net/more.php?catId=18&artId=46

[2] ينظر، خالد سليمان/ ظاهرة الإسلاموفوبيا قراءة تحليلية، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية، 14 أكتوبر 2006م، نقلاعن الموقع: http://asharqalarbi.org.uk/markaz/m-abhath-56.htm

الصليبية الأوروبية وإن كان طابعه الأبرز السيطرة على مقدرات البلاد الإسلامية ونهب خيراتها فالدوافع الاقتصادية والسياسية كانت عاملا مضافا لا بديلا عن العمل الديني[1].

ترجع ظاهرة الإسلاموفوبيا الى عهود سابقة، حيث يعد المفكر التنويري الفرنسي "فولتير" هو أول من أطلق ظاهرة الإسلاموفوبيا، من خلال النص المسرحي المعنون بـ " التعصب"، والذي كتبه عام (1791م)، وفيه أمعن فولتير في تشويه صورة الإسلام، وهذا النص الذي ظل مجهولا طوال أكثر من قرن، لا يزال شبه مجهول فرنسيا وعالميا وعربيا، على الرغم من صدوره في طبعة نادرة وسرية، لم يروج كثيرا، عام (2001م)، عقب تفجيرات (11 سبتمبر)، وقد حمل غلاف الكتاب صورة البرجين، وقد أعادت دار النشر الفرنسية إصدار هذه المسرحية، في أوج الحملة الشرسة على الإسلام، والحافلة بالافتراءات والتهم الخاطئة في حق الدين الإسلامي، وتعترف الدار نفسها، بأن فولتير كتبها ضد الدين المسيحي، ولكن تحت غطاء الإسلام ... إلا أن من يقرأ المسرحية، يدرك على الفور أن فولتير يجهل الإسلام والعالم الإسلامي، فالنص لا مرجعية له أحداثا ووقائعا، وشخصيات،[2] فبدأ فولتير وكأنه يخلق علاقات متوترة، وصراعات بين شخصيات إسلامية مجهولة الملامح والسلوك، حيث كان هم المؤلف أن يكتب عملا تراجيديا، في إطار إسلامي مجهول التاريخ والمعطيات والأبعاد.

وقد زاد استعمال مفهوم الإسلاموفوبيا، في مطلع العقد الأول من الألفية الثالثة، وتحديدا إثر هجمات 11 سبتمبر 2001م، التي وقعت في الولايات المتحدة الأمريكية، وأحدثت تحولا نوعيا في واقع العلاقات الدولية واحتل على إثرها بلدان إسلاميان هما **العراق وأفغانستان"** هذا الحدث الذي أعاد طرح إشكالية المواجهة الحضارية بين الشرق المسلم والغرب المسيحي، والتي بشر بها عدد المفكرين الغربيين المتصهينين منذ نهاية الحرب الباردة، روجوا لظهور الإسلام باعتباره عدوًا جديدًا للغرب بدلاً من الشيوعية، ممثلة في الاتحاد السوفياتي، وروج بعضهم لفكرة انتهاء " الخطر الأحمر الشيوعي" وظهور الخطر " الأخضر الإسلامي"، منذ عام (2005م)[3].

إرهاصات نشأة الإسلاموفوبيا

3-أ- الحروب الصليبية:

هي تلك الحروب التي نشبت في العصور الوسطى بين المسيحيين والمسلمين للسيطرة على بيت المقدس، وهي أحقاد وأفكار أيديولوجية دفينة في نفوس الغرب، وكانت لها أسبابها المختلفة الدينية والسياسية والإقتصادية، ومن أهم الأسباب لاندلاع هذه الحروب هي الأسباب الدينية، في محاولة

[1] ينظر: عاطف الجولاني، الأطروحات الغربية والإسلام في توصيف علاقة الغرب بالإسلام ، مرجع سابق.
[2] المرجع نفسه.
[3] المرجع نفسه

للصليبيين للقضاء على الهوية الإسلامية و طمسها، وللحد من انتشار الإسلام ومحوه نهائيا، فهو يمثل الخطر الحقيقي للغرب، وبحثا عن الخروج من أزماتهم الخانقة ومشاكلهم الإقتصادية خاصة وما نتج عنها من سوء تغذية ، وذلك بالسيطرة على ثروات المسلمين، وجعل بلادهم سوقا لترويج وبيع سلعهم والتخلص من مشردي اوروبا بتهجيرهم إلى البلاد العربية. وقد ركزوا على بيت المقدس لمكانته الروحية لدى المسلمين، فهي قبلتهم الثانية التي توحدهم، وهي مهد الاديان السماوية، وتعايشت على ارضها كل الملل في سلام وأمن، فالحروب الصليبية بمراحلها وأسبابها وغاياتها هدفها ضرب الإسلام واقتلاعه من جذوره، وزعزعة استقراره وتشويهه.

الحروب الصليبية هي تلك الحروب التي قام بها الأوروبيون ضد المسلمين للهيمنة على أراضيهم واستعمارها، وتشريدهم وتهجيرهم، خاصة بيت المقدس لمكانته وقدسيته لدى كل الأديان السماوية، فهو رمز مقدس لكل دين، فاليهود يمثل لهم مركز لعبادتهم، وأساطيرهم، والمسيحيون يتمسكون به لاعتقادهم أنه المكان الذي صلب فيه اليسوع، والمسلمون يعيرونه اهتماما فهو مكان الإسراء والمعراج.

من هنا دبرت الحروب الصليبية لأجل دحر المسلمين، وتبوأ أوروبا الصدارة للسيطرة على العالم، ونشر الديانة المسيحية، وتشويه العقيدة الإسلامية، التي يكن لها الكثير من الأعداء الحقد والبغض والكراهية، ويعتبرونها دين تقتيل وعنف، لذلك اختلق الغرب مؤامرات كثيرة ولجوا من خلالها العالم العربي، مستغلين نقاط ضعفه وإخفاقه، واستطاعوا نهب خيراته وثرواته.

كلفت هذه الحروب خسائر مادية وبشرية كثيرة من اجل السيطرة على بيت المقدس، وقد اختلف المفكرون والمؤرخون في تحديد طبيعتها وحقيقتها، فهناك من رآها حروب بطولة وقوة وتميز، وهناك من اعتبرها حروب استغلال واستعمار وإبادة وتدمير وانتهازية، وهذا موقف المفكرين الشرقيين، الذين التزموا الحياد والموضوعية، ولحد الان لم تحسم الأمور في حكم وإدارة بيت المقدس.

3-ب-توهم الغرب:

رغم ما توصل اليه الغرب من تطور فكري ومادي هائل، يثبت تفوقه حضاريا، الا انه ما زال يخشى عودة ظهور الحضارة الإسلامية كقوة منافسة، لذا التجا الى الاقاويل والاكاذيب لتشويه الإسلام، كما ان خوفه يستند لموقف دفاعي، ويبالغ في تقديره للتأثير الإسلامي، وتجاهله للهيمنة الغربية في جميع الميادين والمجالات، فالحضارة الغربية تتخيل وتتوهم عودة الغزوات والفتوحات الإسلامية وتوهم بها المجتمعات.

يبالغ الغرب في تقديره لهذه الفكرة، لأنه هو الذي يشكل خطرا وليس الإسلام، ويتجلى ذلك من خلال عدة وقائع أهمها حرب العراق، والسيطرة الغربية في توسع دائم، وتسعى لتثبيت افكارها ومبادئها بالقوة، بينما يتصف الإسلام بالتفتح على الاخر، وترك حرية المعتقد للفراد، في حين الدولة الوحيدة التي أدينت بالإرهاب في محكمة العدل الدولية هي الولايات المتحدة الامريكية، عندما رفضت قرارا يحث الدول على احترام القانون الدولي.

تعد أحداث 11سبتمبرمنطلقا لغزو الشعوب العربية والإسلامية ونهب خيراتها باسم الحماية والدفاع عن حرية الشعوب، وتحقيق الحياة الرغيدة التي تطمح للوصول إليها. وهذا ما تجلى في أفغنستان والعراق وليبيا ...

3-ج-أغلوطة الإسلاموفوبيا:

واجه الإسلام منذ ظهوره تعنت ومحاربة العرب والعجم له، وتشتد الهجمات عليه خاصة من قبل الحضارة الاوربية التي حاولت القضاء عليه بشتى الوسائل والطرق، وهذا نتيجة لسوء فهمه، ولربطه بسلوك بعض المسلمين المخالفة له، وكذلك دور الاعلام الغربي السلبي وتشويهه لحقائق الإسلام، مما أدى الى تخوف الغرب منه، حيث قام بنشر فكرة الاسلاموفوبيا للتصدي للتوسع الإسلامي، ولعزل الدين الإسلامي عن العالم، الا ان ما حدث في سجن غوانتنامو من تدنيس للقران الكريم، كان له تأثير كبير على مصداقية أمريكا وادعاءاتها باحترام الدين الإسلامي، وان كل حروبها هدفها الأساسي زعزعة قواعد الإسلام وتشويهه تمهيدا للقضاء عليه مستقبلا.[1]

3-د-المفارقة الإجرائية:

لقد سيطرت على الفكر البشري حاليا فكرة ان الشعب الأمريكي هو نموذج الرقي والازدهار، مما أكسبه ميزتي التفاخر والاستعلاء، لدرجة اصابته بالغرور وجنون العظمة ، لكن التاريخ يشهد على ان الإبادة الجماعية للسكان الأصليين من صنع أمريكا والغرب، وستنتصر الشعوب الضعيفة وتنتقم لنفسها يوما ما، ويبقى التاريخ شاهد على جرائمها منذ نشأتها، وما فعلته بالهنود الحمر ،وبتفجير القنبلة النووية

[1] ينظر، الدراجي زروقي، خرافة الاسلاموفوبيا، ط1، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر،2021، ص 140 - 144.

في اليابان ،وأيضا جرائمها في كوريا والفتنام والعراق ،فهي تهتم فقط بمصالحها وبسط نفوذها، وتحقيق أطماعها، وتدعم موقفها بأحداث 11سبتمبر 2001، اين اوهمت الناس بالهجوم الاسلاموي الإرهابي عليها في عقر دارها، وما نتج عنه من ضحايا ثلاثة الاف قتيل، انها ذريعة تتيح لها محاربة الإرهاب في كل بقعة تخالها حصنا منيعا له، وفي كل ارض تظنها موطن حضارة جديد، وهكذا بدأت حربها ضد المسلمين والعرب..

إن الو. م. أ تتزعم الدول الخارجة عن القانون، فلا تخضع للقانون الدولي، ولا تأبه به، لقد حاربت العراق دون استشارة هيئة الأمم المتحدة، ودون انتظار قرارها، وهو ما يشكل تجاهلا واضحا لهذه الهيئة، وتعديا صارخا على ميثاقها، فقتلت كيفما شاءت وعذبت من شاءت، ومارست كل أنواع العنف والاضطهاد مع الشعب العراقي وعلى مسمع ومرأى كل العالم، مدعية حمايته وحماية حقوقه الإنسانية، وهكذا فعلت في افغانستان، وماتزال ترتكب أبشع المجازر والابادة الوحشية، وتهجير السكان وتجويعهم في فلسطين، وفي ظل سكوت وتآمر دولي رهيب.

3-ه-العلاقات الدولية لما بعد الحرب الباردة والحاجة إلى حوار الحضارات

يعيش عالم اليوم عصر العولمة التي تهدف الى جعل العالم قرية صغيرة، تتوحد فيها الاتجاهات السياسية والاقتصادية والثقافية، وتخضع لقوانين موحدة، وهذا ما يشكل خطرا كبيرا على قضية الهوية والخصوصية الثقافية، لتذوب كل الشعوب في نموذج واحد يسهل السيطرة عليه والتحكم فيه وتوجيهه من طرف الغرب المستعمر، مما دفع الدول للبحث عن سبل لدرء خطر العولمة.

يشهد العالم صراعات عرقية ودينية تهدد الامن والسلم العالميين، فانتشار الجهل والتعصب والعنف ورفض التعايش مع الاخر، يفرض بالضرورة وجود حوار بين الحضارات، للاطلاع على الثراء الثقافي للأخرين، وخلق فضاء ومجال تعاون وتعايش سلمي وأمني دولي.

عند عجز الانسان المعاصر من تحقيق أهدافه المشروعة وغير المشروعة باستعمال العنف والقتل، رضخ للحوار وابدى رغبته في تبنيه، خاصة عندما عجز عن تحقيق اطماعه خلال الحربين العالميتين، ولم يجن إلا الخراب والدمار.

"إن تموضع كل ثقافة حول العناصر المتطرفة (التي تتميز بالنسبة الأخلاقية والنسبة الثقافية والتي تنكر شرعية الثقافات الأخرى أو تنكر جانب القيم المشتركة بين الثقافات مثل الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة، التي تزعم تمثيلها لتلك الثقافة وتمارس العنف ضد أصحاب الثقافات الأخرى

وهوالأمر الذي يؤدي إلى إشعال نيران الغضب لدى قطاع كبير من أبناء وشعوب هذه الثقافات الأخرى ومن ثمة فإن منطق الفعل ورد الفعل يؤدي إلى الإنزلاق والى صراع الحضارات."[1]

أكد تقرير نادي روما لسنة 1979 على أن جوهر الصراع بين الشمال والجنوب يكمن في اختلاف القيم الحضارية والثقافية بينهما، حيث أكد هذا التقرير على ان جل النزاعات الدولية تعود أسبابها ودوافعها الى اختلاف الهوية الثقافية، والتي قد تزيد من الصراع داخل المجتمعات وبين البلدان.

إن مصدر الصراع الحقيقي يكمن في تصادم المصالح السياسية والإقتصادية والإستراتيجية بغض النظر عن الإختلاف الحضاري، فهناك تبريرات لا عقلانية تتخذها النخبة صاحبة المصلحة السياسية لتغطية أطماعها التوسعية، مع استخدام الصراع الثقافي لتحقيق أهدافها.

3-و-صراع الحضارات وبروز فكرة الخوف من الإسلام

تعتبر فكرة صدام الحضارات التي تبناها صمويل هنتغتون سنة 1996 من أخطر النظريات المحملة بالأفكار العنصرية في كتابه حول صدام الحضارات: فالمشكلة الأساسية تكمن في الإسلام باعتباره دين عبادات وسلوكات وممارسات، بل هو شريعة تمس جميع نواحي الحياة المختلفة.

أما المسلمون فمواجهتهم للحضارة الغربية وتحديهم لها يكمن في نموهم الديمغرافي، ونشاطهم ومحاولة تجديد وتدعيم مجالاتهم الثقافية والإجتماعية والسياسية باستمرار، إضافة الى اعتمادهم على الإسلام كمصدر للحفاظ على الهوية واستلهام الضمير الحي منه، والتوازن النفسي والروحي، فهو ملاذهم لحل معضلاتهم، ومنهج حياتهم في عالم عصري متطور.

لقد صنعت أفكار هنتغتون في صناعة رأي عام غربي يتمسك بخصوصياته ، و يرفض التعايش مع الحضارات الأخرى وبالتالي اساء للمهاجرين المسلمين والعرب ،الذين يعيشون في الغرب، وأصبحت حياتهم في خطر، خاصة بعد احداث عديدة في اوروبا، اتهموا بالضلوع فيها مثل : اعتداءات مدريد ولندن، واعتداءات مترو باريس، مما أدى الى ازدياد الخوف من المهاجرين، وازدادت الاعمال العنصرية ضدهم، من خلال تنامي نفوذ الأحزاب اليمينية المتطرفة، وهذا اثر سلبا على سياسة ادماجهم، بل تعالت أصوات لطردهم بمختلف الوسائل والطرق.لقد اتفق فكر هنتغتون مع هذه التوجهات وساند الأحزاب اليمينية الأوروبية في تطلعاتها، حيث برر ذلك برغبتها في الحفاظ على هويتها، ففي ظل هذا الواقع المثخن بالظلم واللاعدالة ، لا يمكن باي حال من الأحوال وجود حوار حضارات.

[1] مشري موسى، جدلية العلاقة بين الاسلاموفوبيا وحوار الحضارات، ماجستير، جامعة حسيبة بن بو علي، الشلف، الجزائر، ص2.

3-ز- صورة الإسلام في وسائل الإعلام الغربية:

ساهمت الصحافة في محاربة الإسلام ، وفي تكوين صورة نمطية غنه ، وفيما يلي نماذج من المقالات الأمريكية والبريطانية التي تزعمت الحملة الغربية على الإسلام ، بالإضافة الى عناوين أخرى يتم تداولها في الإعلام الغربي مثل: " الهلال الجديد في أزمة الانتفاضة العالمية " و"الإسلام الصاعد يكتسح الغرب"، ومقال في جريدة Figaro بعنوان " هل سنكون فرنسيين في 2025؟ serons-nous des françaisen

يدل على مدى تخوف الأوربيين من أن يصبحوا أقلية من جراء غزو العرب المغاربة لفرنسا وقد لخص الأستاذ س-باليدا spalida الأخطار التي يمثلها المهاجرون على المجتمع الفرنسي بقوله «أن المجتمعات المهاجرين اليوم يشكلون العدو الجديد الذي قام بغزو المجتمعات الأوروبية، وثقافتهم تشكل تهديدا للثقافة الغربية، فهم من حضارة مختلفة وغير قادرين على التوافق مع الحضارة الغربية المتقدمة، هذه المجموعات ينبغي تشديد الرقابة عليهاّ».[1]

كما ساهمت القنوات التلفزيونية في خلق جو أدى الى موقف سلبي اتجاه الإسلام، حيث نجد أن في مجموع 1151 شريطا خصصته القناة الفرنسية الأولى، (TF1) لموضوع الإسلام، قدم الإسلام السياسي كمرادف للإرهاب 420 شريطا، ومرادف للعنف 154 حالة وتفسر هذه التغطية الإعلامية نتائج صبر الآراء الذي ينتهي بالنتائج التالي: 67% من الفرنسيين يعتبرون أن الإسلام يعني التبعية ويربطونه بالخضوع 51% يرفض القيم العرقية 36% بالتطرف والعنف[2].

ويعد الانفجار الذي وقع في مدينة أوكلاهوما في 1993 مثلا معبرا عن طبيعة الإدراك الأمريكي، حيث قامت أهم القنوات (New York times, CBS, CNN) يربطه مباشرة بانفجار المركز التجاري العالمي ثم نادت بضرورة إعلان "حرب مقدسة ضد الإرهاب الشرق أوسطي"، وقد تم تسجيل في الأيام الثلاثة الموالية أكثر من 200 حادث عنيف ضد أمريكيين مسلمين، إثر ذلك قامت مؤسسة فورد جويس بعملية صبر الآراء سنة 1993، ووصلت الى نتيجة أن 50% من الأمريكيين يعتبرون أن المسلمين معادون للغرب عامة وللولايات المتحدة خاصة وأنهم يربطون الإسلام بإيران.

نفس النتيجة توصلت إليها الدراسة الميدانية التي أجرتها مجلة News week في مارس 1998 حيث أن أغلبية الأمركيين يعتبرون الإسلام كدين أجنبي، والمسلمين كأصوليين نشيطين أو إرهابيين ،وفي هذا الإطارات يرى الباحث الفرنسي فرانسوا يورغا أن الإعلام الأوروبي يسعى دائما الى إبراز الوجه السيء

[1] مشري موسى، جدلية العلاقة بين الاسلاموفوبيا وحوار الحضارات، مرجع سابق، ص6-7

[2] المرجع نفسه، ص 7-8

للإسلام بدلا من إبراز الوجه الإيجابي، كما يركز على العناصر والحركات غير المنضبطة، وينسبها دائما الى الإعلام، فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة الصنداي تلغراف البريطانية تحقيقا صحفيا بعنوان: " Husband order fatwa against british wife" حول سيدة بريطانية أصدر زوجها فتوى بهدر دمها بعد هروبها منه بسبب خلافات بينهما، كما أذاعت البي –بي سي نفس الخبر في برنامج صباح الخير، وهنا تجدر الإشارة باعتراف بعض الصحف الأوروبية، بالوقوع في تقديم صورة مغلوطة عن المسلمين في الإعلام الغربي، وخاصة من خلال اتهامهم بالأصولية.

إضافة الى المقالات الصحفية والقنوات التلفزيونية، ساهمت التصريحات الرسمية التي تبثها وسائل الإعلام في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، فالرئيس كارتر وصف إيران بأنها "جماعة مقهورة"، ونائب الرئيس السابق دان كويل Dan Quayle ضمن الذين قارنوا الأصولية الإسلامية بالنازية والفاشية، وذلك من خلال كلمته التي ألقاها أمام خرجي الأكاديمية العسكرية الأمريكية في ماي 1990

3-ح-صورة الإسلام في المقررات المدرسية الغربية:

يقترن دور الأسرة في أوروبا بدور وسائل الإعلام ويتجلى ذلك من خلال التنشئة السياسية، حيث يشتركان في رسم صورة الآخر في مخيلة المواطن الأوروبي، كما تسهم المدرسة في دعم هذه الصورة، من حيث اكتسابه هذا السلوك، وللوقوف على صورة الإسلام في مخيلة الطفل الغربي، أما بالنسبة للصراع العربي الإسرائيلي، فالكتب المدرسية تظهر أن فلسطين أرض خالية، تعيش بها قلة من الناس البدائيين الكسالى، عكس اليهود الذين يتصفون بالحيوية والنشاط وحب العمل والاجتهاد، فهم يشكلون دولة صغيرة، تتصارع مع كل الدول العربية.

قامت الباحثة مارلين نصر بدراسة شملت 16 مقررا في الطور الإبتدائي، من إصدار أربعة من أكبر دور النشر في فرنسا (Nathan، Hachette، Magnard،Bordas) وصفت العرب بأنهم متخلفون ذهنيا برابرة، أما الفرنسيون فيمتلكون تفكيرا راقيا أهلهم لناصب القيادة والثراء، كما تناست هذه المقررات كل الصفات الحميدة التي يتصف بها العرب دون غيرهم من كرم وشجاعة وحسن الجوار، وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم ...

كما درست 16 مقررا في مرحلة التعليم الثانوي عن صورة العرب في هذه الكتب، وجدت اغلبها تتعلق موضوعاتها بالعرب المهاجرين والعنصرية.[1]

[1] مشري موسى، جدلية العلاقة بين الاسلاموفوبيا وحوار الحضارات، ماجستير، مرجع سابق، ص9- ص10.

ولتحديد مكانة العرب ومميزاتهم في هذه النصوص، اكتشفت الباحثة انهم يتميزون بالخنوع والخضوع للمستعمر الفرنسي، فهم من طبقة الخدم والحركة وأَدِلاء العرب والطوارق، ورؤساء قبائل، بينما الفرنسيون هم اسياد وضباط.

أما عن صورة العرب في كتب التاريخ المقررة فهم غزاة برابرة وقراصنة ولا علاقة لأوروبا بهم الا من خلال مواجهتهم. ثم تتناول الحروب الصليبية بوصفها حركة دينية تكفيرية للذنوب في المشرق، دون ذكر أسبابها الاستغلالية الاستدمارية، أما عن صورة العرب فهم كفار غير مؤمنين، اما ظاهرة الاستعمار فهي نتاج تطور اقتصادي شمل كل أوروبا، في حين ترى استعمار فرنسا للجزائر حركة إيجابية هدفها اعمار البلاد وتقدمها.

لقد تمحورت صورة العرب والمسلمين من خلال الكتب الفرنسية حول محورين:

- تجاهل الإسلام والعرب وحضارتهم ودورهم في البناء الحضاري للإنسانية.
- تحقير وتشويه صورة العرب والمسلمين واختصارها في أفراد غير منظمين يعيشون في قبائل أو بدو رحل.

3- أسباب ربط الإسلام بالمصطلح:

4-أ-النزعة الاستعلائية للغرب ضد الإسلام:

مما يغذي النظرة العنصرية ضد الإسلام هو اتفاق الجميع في مختلف الدوائر والمستويات على العدائية ضده، وتأكيد محاربته بكل السبل والطرائق، للحد من انتشار الثقافة العربية والإسلامية.

4-ب-تصرفات بعض المسلمين، أو المنتسبين للإسلام:

إن تصرفات بعض المسلمين المتعصبين المدعاة للفتن وللقتل والسب والتكفير، باعتماد فتاوي متطرفة من جهة، والغلو وتنصيب المحاكم الشرعية بحسبهم يترأسها من نصبوا أنفسهم الهة الأرض، كل هذه السلوكات والافعال تدعم الشبهات ضد الاسلام، يقول سبحانه وتعالى: «وَلاَ تَسَبُّوا الذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونَ الله فَيَسُبُّوا الله عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِ أُمَّةٍ عَمَلَهمْ ثُم الِى رَبِّهِمْ مُرْجِعُهُمْ فَيُنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون»[1].

الإسلام دين حرية، لا يجبر أحدا على اعتناقه "لا إكراه في الدين"[2] ، لهذا يجب التصدي لهؤلاء المتطرفين بالحكمة والموعظة الحسنة، ونبذ ثقافة التعصب والتطرف، ويبرز هنا دور الإعلام، فجل الديانات السماوية تتفق على احترام الاخر، والإسلام أيسرها وأصفاها وأكثرها تسامحا، ورحمة وإنسانية

[1] سورة الأنعام، الآية 108
[2] سورة البقرة، الآية 255

"ولا يفوتني هنا استحضار مبادرة بروس لورانس Brous Lerans وغيره كثيرا في الدفاع عن الإسلام بوصفه عقيدة تدعو للحوار والتسامح، تقوم على التنوع ونبذ العنف.

4-ج-الإدعاء بأن العداء مع الإرهاب الإسلاموي:

في حين أصر برنارد لويس في مقدمة كتابه " أزمة الإسلام" الى التأكيد على أن الغرب لا يعادي الإسلام

وإنما حربه ضد الإرهاب والتطرف الإسلامي: «فقد بذل الرئيس بوش والسياسيون الغربيون الآخرون جهودا عظيمة ليوضحوا أن الحرب التي ننهمك فيها هي حرب ضد الإرهاب وليست حرب ضد العرب، ولا ضد المسلمين»[1]، وفي عصر السرعة والهيمنة الإعلامية، تأتي القوة الناعمة لتدير الحرب على الإسلام، وتقويضه وفق الرؤية الغربية.

4-د-الحقد الصليبي من العصور الوسطى حتى الحروب الصليبية:

كان للتوسع الإسلامي في أوروبا منذ فتح القسطنطينية عام 1454م اثره السلبي على الغرب المسيحي الذي أصبح نفوذه في تراجع مستمر ، ما أرغم رجال الدين لمجابهته والتنديد به في ربوع المدن الأوروبية ،للحد من خطورته ، بحجة الدفاع عن مقدسات الرب ، لذلك اتخذت الكنيسة موقفا عدائيا ، مملوء بالحقد والكراهية والمقت اتجاه العرب والمسلمين، حيث عانوا من الاضطهاد والظلم والقتل والتشريد، والتي ستظل محفورة في الذاكرة، والحقيقة ان الذين تمعنوا في الحروب الصليبية استطاعوا تحديد أسبابها ودوافعها المختلفة الاقتصادية والتجارية والسياسية والاجتماعية ، وبقرار ديني وبحثا عن حلول لمشاكلهم المتراكمة .

4-ه-الجهل بالإسلام وسوء فهمه:

الجهل بالإسلام وعدم فهمه وفهم احكامه وتعاليمه السمحة، يتشارك فيه المسلمون والغرب، فما جاء في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة يحيل الى الايمان الصادق والصحيح، وفي مسألة القتال والجهاد، فقد وردت صريحه في قوله تعالى:" لاَ يَنْهَاكُمُ الله فِي الذْينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِين وَلَمْ يَخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُوهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهُمِ إِنَّ الله يُحِبُ المُقْسِطِينَ"[2].

فأعمال القتل والتخريب التي يقوم بها جماعات التطرف الجهادية التي تدعى الإسلام لا تمت له بصلة.
اذا نظرنا في قضية معاداة الغرب للعرب والمسلمين ، فالصورة النمطية لهم ما تزال مرسومة ومهيمنة على الفكر الغربي ومتخيله، وهذا من مسببات الجهل بمحتويات ومضامين الإسلام، كما ان رجال الدين انشغلوا بالبحث عن التآلف بين أفكارهم وما جاء في الكتاب المقدس ، الا انهم اثبتوا جهلهم وسوء فهمهم، إضافة الى تقصير المسلمين في التعريف بدينهم ،فمن يحلل فكر "بابا الفاتيكان" بعد محاضرته التي تنم

[1] فاطمة ياحمان، فضائيات الاعلام و فوبيا الإسلام، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر،2017-2018، ص 40.
[2] سورة الممتحنة، الآية 8

عن العداء للإسلام نجد الرجل جاهلا جهلا مركبا وينطبق، عليه قوله تعالى: «يا اهل الكتاب لما تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون»[1]

4-و-استمرار الإسلام في الانتشار والتمدد:

عدد الدول الإسلامية 53 دولة، تستحوذ على مساحة تقدر حوالي 32 مليون كلم مربع، وتتوزع بين قارة إفريقيا التي تضم 16 دولة إسلامية، وقارة آسيا التي تضم 27 دولة إسلامية، وقارة أوروبا التي تضم دولة إسلامية واحدة، يبلغ عدد سكان العالم الإسلامي حوالي 1361441183 نسمة، هذا واعتبر الدين الإسلامي ثاني معتقد بعد المسيحية من حيث الإنتشار في العالم حيث بلغ عدد المسلمين اجمالا خلال 2023 حوالي 1.6 مليار نسمه أي ما يعادل 23.20% من مجموعة سكان العالم حازت منها الدول العربية على النسبة الأكبر .

ينظر الغرب الى المهاجرين المسلمين في اوروبا نظرة سلبية، وهذا راجع للتباين العرقي الواضح، فهناك رفض قاطع لتواجد المهاجرين على أراضيها خاصة في اوروبا الغربية، فهي تخشى فقدان خصوصياتها الثقافية في ظل تواجد التعددية الثقافية، كما تخشى التزايد الإسلامي والعلماني في حين يتضاءل عدد أعضاء الكنيسة واتباعها.«أخذ الإعلام يربط بين تلك النقاشات وبين ثقافة وديانات هؤلاء المهاجرين، فبرز النقاش حول ما إذا كانت قيم وثقافة هؤلاء تنسجم مع الثقافة الغربية، وفي هذا السياق تبرز مسائل عديدة من قبيل الحجاب وتعدد الزوجات والسياحة المختلطة وختان الإناث وإنشاء مدارس إسلامية...، بل إن الأمر لاحقا تجاوز [2]

تلك النقاشات الى مسائل الولاء والمواطنة ومدى تأثير الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي على المسلمين داخل الإتحاد الاوروبي، ثم جاءت أحداث سبتمبر فأدت الى طرح مسالة الولاء للوطن بقوة، بل أن "هنتنغتون"قدم أطروحته الثانية عما أسماه الهوية التي يجب الحفاظ عليها، والتي تقوم على ركائز

أربعة أساسية الأمريكية:"هي العرق الأبيض والإثنية الإنجليزية والدين المسيحي للبروتستانتي، والثقافة الانجليزية البروتستانتية".

وما زاد من غطرسه الغرب لهذا التنامي المستمر الإسلام دخول الصفوة من العلماء والمثقفين في دين الحق: " إنما يخشى الله من عباده العلماء" فاطر 28، فعلى غرار عوام الناس كان ذووا الكفاءات الفكرية

[1] سورة آل عمران، الآية 71
[2] فاطمة ياحمان، فضائيات الاعلام و فوبيا الإسلام، مرجع سابق، ص42.

من جملة من انحرفوا عن الكفر للإيمان بالإسلام، ففي سانتا كلارا بكاليفورنيا 700 عالم كمبيوتر كلهم مسلمين.

4-ز- الصحوة الاسلامية :

يقول الله سبحانه وتعالى: «ما يريد الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليهم خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم»[1] ، ولما كان الغرب يعيش عصور التخلف والجهل وسيطرة الكنيسة على عقول الناس، كانت الامة الإسلامية تعيش ازهى عصورها، بانتشار الاشعاع الثقافي والفكري تماشيا والدعوة الاسلامية ، "يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير»[2]، «وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فليؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وأن الله لهادي الذين أمنوا الى صراط مستقيم»[3]

ولما كان العالم الاسلامي يعيش أزمة حضارية ثقافية تولدت من رحمها الهمة في أوساط الأمة، لدحر الأفكار والمعتقدات البالية واستبدالها بأخرى أكثر وسطيه وانسجام. [4]

بعد فشل الأنموذجين الاشتراكي والرأسمالي، وحكومات العرب والمسلمين المتعاقبة في حل مشاكلهم، أما الغرب فجعل يجهد جهده ويمكر مكره لدحر المد الاسلامي بشتى وسائل التضليل والخيانة ولكن أنّى لبشر أن يغلب القهار، ويمنع بزوغ النهار.

4-ح-الاسلام رسالة عالمية وفطرة انسانية:

"فالأنبياء في الديانات السماوية السابقة كانت شرائعهم مؤقتة لأمد محدود، ووقت المعلوم، كما كانت لأقوام معينين وهذا لحكمة قدرها الله تعالى فلم تكن البشرية في طور يسمح لها بتقبل شريعة خالدة ومن ثمة كانت رسالات السابقة مفصلة على مقاس الشعوب كل على حدة، وبعث سيدنا محمد ﷺ للناس كافة قال تعالى: «وما أرسلناك الى كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون»[5]

ويكون الاسلام بذلك رسالة خاتمة وشاملة لكافة الشعوب والأمم «يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض، لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلمته واتبعوه لعلكم تهتدون»[6].

---

[1] سورة البقرة، الآية 105
[2] سورة المجادلة، الآية 11
[3] سورة الحج، الأية 54
[4] فاطمة ياحمان، فضائيات الاعلام و فوبيا الإسلام، مرجع سابق، ص 44.
[5] سورة سبأ، الآية 28
[6] سورة الأعراف، الآية 15

وبين مسيحية صارمة ويهودية متصلبة، استطاعت الأمم والشعوب ان تهنأ وتتمتع بالسلم والامن في رحاب الشريعة الإسلامية العادلة، التي ساست الأمم بمنطق التوحيد والعدالة والعقلنة، فمن دولة الرسول ـ ﷺ ـ الى الخلافة الراشدة، تلتها الإمبراطورية العثمانية في اوج تطورها، استمتعت الشعوب ونالت حقها من الدين والعلم والأخلاق، وساهمت في بناء عالم اكثر تطورا وازدهارا، فالفكر الاسلامي يتصف بالتكامل والالتفاف حول الهدف الأساسي، وهو الاهتمام ببناء وتربية الفرد والمجتمع، فهو ينظر لجوانب الحياة ككل متكامل، مما يؤسس لأرضية تفاهم وتقبل الاخر دون معيقات، وكل ذلك راجع لموازنته بين العقل والقلب، والروح والمادة، لذلك فهو صالح لكل زمان ومكان.

4ـط ـالدراسات الغربية:

دراسات فوكو ياما (1989) وكتاب "نهاية التاريخ": طرح فرانسيس فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ" فكرة رئيسية تتمحور حول الليبرالية الديمقراطية بإمكانها أن تشكل فعلا منتهي التطور الإيديولوجي للإنسانية والشكل النهائي لأي حكم إنساني. ويضيف أن انهيار أشكال الحكم القديمة نجمت عن التطبيق غير الكامل لمبدأي الحرية والمساواة اللذين يمثلان ركيزة الديمقراطية الحديثة[1].

ويضيف فوكوياما أنه لم يبقى في نهاية التاريخ أي منافس للديمقراطية الليبرالية، فاليوم عدا العالم الإسلامي، ثمة بروز لاتفاق عام يقبلوا بشرعية ادعاءات الديمقراطية الليبرالية في أن تكون شكل الحكم الأكثر عقلانية.

صحيح أن الإسلام شكل نظام ايديولوجي آخر متماسك شأن الليبرالية والشيوعية وله نظامه الأخلاقي الخاص، وعقيدته الخاصة في العدالة والسياسة الاجتماعية، فدعوة الإسلام هي ذات طابع شامل تتوجه لجميع الناس كبشر، والاسلام في الواقع هزم الديمقراطية الليبرالية في أجزاء متعددة من العالم الإسلامي، إلا أنه يشكل تهديدا كبيرا للممارسات الليبرالية، وبالرغم من القوة التي أبداها الاسلام في تجدده الحالي يقول "فوكوياما"، إلا أن الدين لا يبدو أن يمارس أية جاذبية خارج الأصقاع التي كانت إسلامية ثقافية منذ بدايتها، فقط ولى زمن الغزو الثقافي للإسلام، كما يبدو إنه يستطيع استعادة بلدان فلتت منه لفترة ولكنه لا يقدم أبدا الإغراءات لشباب: برلين، طوكيو، باريس، موسكو، فاذا كان هناك مليار من الناس تقريبا ينتمون للثقافة الإسلامية (اي 5/1 سكان العالم)، فإنهم لن يتمكنون من منافسة الديمقراطية الليبرالية في عقر دارها في مجال الأفكار، وعلى المدى الطويل، قد يبدو العالم الإسلامي أكثر تعارضا للأفكار الليبرالية وليس العكس، لأن لهذه الأفكار عدد كبير من المؤيدين في العالم الإسلامي، تعاقبوا على مر

[1] فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة جميل قاسم، فؤاد شاهين، رضا الشابي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص195.

السنين الماضية، ويعود جزء من سبب التجدد الأصولي الراهن يقصد وقت كتابه أول اصدار الكتاب الى قوة التهديد الذي تمارسه قيم الغرب الليبرالي، على المجتمعات الاسلامية التقليدية.[1]

4-ي-دراسة صامويل هنتنغتون (1993) بعنون صراع الحضارات:

في مجال مثير الجدل حذر "هنتنغتون" من أن صراع الحضارات سوف يهيمن على الحياة السياسية العالمية... ووصف الإسلام والغرب أنهما عدوان منذ عهد قديم، وقد فسر مقاومة الحضارة الإسلامية للنماذج التنموية الغربية العلمانية بوصفها معادية لحقوق الانسان والتطور، حيث خلص الى أن الحدود الفاصلة للإسلام دموية وأن مكوناته داخلية دموية أيضا.

لقد أزاح مفهوم صراع الحضارات غيره من المفاهيم ومصطلحات المرتبطة بالحوار، وذلك بعد تأكيد S.H أن الصراع في العالم الجديد لن يكون ايديولوجيا أو اقتصاديا إنما مصدره ثقافي لحضارة عنده هي الكيان الثقافي الاوسع الذي يضم الجماعات الثقافية والعرقية والدينية والأمم وصدام الحضارات الصراع قبائلي على نطاق واسع، والفروق الثقافية التي تحتل الأساس والمركز في التمييز بين البشر اليوم، فبالنسبة لـ" هنتنغتون" الغرب هو الحضارة الوحيدة التي لها مصالح أساسية في كل حضارة أو منطقة أخرى ولها القدرة في التأثير على سياسة أمن واقتصاد كل حضارة، والمجتمعات الأخرى بحاجة دائمة لمساعده غربية لتحقيق أهدافها وحماية مصالحها، ومن جهة أخرى يقول أن قوة الحضارة الغربية سوف تتآكل وتنتشر بين الحضارات الأخرى، مما يؤدي ليقظة المجتمعات غير الغربية وتوكيد ثقافتها وزيادة رفضها للثقافة الغربية، وأشار الى خطر تناقص عدد السكان الكلي للغرب ففي سنه 1993 احتل المركز الرابع بعد الحضارات الصينية الإسلامية والهندية، والخطر أنها مجتمعات معبأة اجتماعيا أي قوية سكانها قادرون على القراءة والكتابة، لديهم إمكانيات قد تستغل لأغراض سياسية وحسبه ، يتجلى التحدي الإسلامي، في الصحوة الثقافية الاجتماعية والسياسية العامة للإسلام في العالم الإسلامي، وما يصاحبه من رفض لقيم الغرب ومؤسساته الاجتماعية. وأن كل من الآسيويين والمسلمين يؤكدون على تفوق ثقافتهم على الثقافة الغربية، فبينما أصبح الآسيويون واثقين نتيجة تقدمهم الاقتصادي، فإن المسلمين بأعدادهم الغفيرة اتجهوا نحو الإسلام كمصدر الهوية والاستقرار والشرعية هو ما يعرف بالصحوة الإسلامية وهي العودة للالتزام بالإسلام كدليل حياة في العالم الحديث[2].

إن من نقاط الضعف في نظرية " هنتنغتون" ومحاولته طرح الإسلام عدوا بديلا عن الشيوعية حيث صنف الشرق وشعوبه على أساس الدين، منطلقا من ربط الدين المعاصر بالرجعية والإرهاب

[1] فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، مرجع سابق، ص71.
[2] ينظر، صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي،تر: طلعت شايب، ط2، مركز سيمون وشاستروكفيلر، نيويورك، 1999م، ص182.

متجاهلا أن الأديان لا تصنع الحروب، وأن الحضارة الإسلامية من ضمنها ليست عدوانية ، والواقع أنه ليس هناك علاقة تاريخية حتمية بين المعلومات التي قدمها وحقائق التاريخ فقد ذهب الى القول بأن الحضارة الإسلامية وحدها من لها القابلية لإفراز حركات أولية متطرفة ومتجاهلا تنامي التطرف الأصولي المسيحي في الدول الغربية، واليهودي، الاسرائيلي في فلسطين والهندوسي في الهند.

إن معظم الانتقادات الموجهة لنظريته أجمعت على مغالاته في التخويف من الإسلام، بالنشر في التاريخ العلاقة بين الحضارة الإسلامية والمسيحية، وانتقاء بعض الصراعات العسكرية والدينية، وأن نظريته لا تقوم على أدنى أساس من المعرفة بأسس الإسلام السليمة، وموقفه من الحضارات والثقافات الأخرى.[1]

كل من **هنتنجتون** و **فوكوياما** يحللان وفق نظرية آنية قصيرة المدى والتاريخ أعمق من هذا وأشمل كلاهما يتحدث عن العالم: الغرب والبقيه، وكلاهما يفكر وفق لحظه سقوط الاتحاد السوفياتي وانفراد السياسة الأمريكية.

4-ك-دراسة المؤرخ فريد هاليداي fred halliday (2003) بعنوان الاسلام والغرب خرافة المواجهة :

يرى أن خرافة المواجهة بين الإسلام والغرب مستديمة من جهتين متناقضتين في الظاهر، من المعسكر الغربي بالدرجة الأولى الذي يسعى لتحويل العالم الإسلامي الى عدو آخر، ومن معسكر أولئك الذين يدعون من داخل البلدان الإسلامية نفسها الى المواجهة مع العالم غير المسلم وخاصة العالم الغربي بالدرجة الأولى الذي يسعى لتحويل العالم الإسلامي الى عدو آخر. ومن معسكر أولئك الذين يدعون من داخل البلدان الإسلامية نفسها الى المواجهة مع العالم غير المسلم وخاصة العالم الغربي، وبعد عدة استقراءات يصل الكاتب الى محور كتابه وهو قضية المواجهة بين الاسلام والغرب او" صدام الحضارات" ويرى أن هذه الفكرة باتت شائعة في الغرب، كما في الدول الإسلامية مما يجعل من محاولات وضعها في إطارها الصحيح عمليه تتحدى كل الأطراف، يحاول "هاليداي" تأكيد عجز الإسلام عن خوض مواجهة متكافئة مع الغرب وذلك يعود الى أن الامبراطورية العثمانية (الإسلامية) سقطت منذ العام 1918 ولا سبيل لبعث رديف لها[2].

لقد زاد حرص الذات العربية على تأكيد هويتها في مواجهة تهمة الإرهاب التي ألحقها الآخر الغربي بها بعد أن شاع لديه الإسلاموفوبيا، فأستمر في إختزال الآنا العربية في صورة نمطية مشوهة.

---

[1] ينظر، المحجوب بن سعيد، الإسلام والإعلام فوبيا الإعلام الغربي تشويه وتخويف، دار الفكر سوريا، 2010م، ص76.

[2] محمد أحمد النابلسي، الإسلاموفوبيا كمظهر لجنون العظمة الغربي ، مرجع سابق، ص5.

الفصل الثاني

تمثلات الظاهرة على المستوى السردي

1- قراءة في العنوان
2- الشخصيات
3- الزمان
4- المكان
5- الحوار
6- الوصف

1- قراءة في العنوان:

عنوان الرواية ذو بناء مزدوج يتكون العنوان الرئيسي رماد الشرق من كلمتين "رماد" و"الشرق"...

فالرماد من الناحية المعجمية ج أرمدة (كم) ما تخلف من إحتراق المواد، بقايا غير عضوية تتخلف بعد إحراق المواد القابلة للإحراق مثل الخشب.[1] "مثلُ الذين كَفَرُوا بِرَبِّهم أَعْمَالَهم كَرَمَادِ اشْتَدَتْ به الرِّيحُ فِي يومٍ عاصف.[2]

أما العلاقة بين الرماد والشرق هي تلك الهزائم التي ولدت هزائم وأنظمة قادمة ولدت أنظمة أكثر إفساد، وبإنفجار كل شيء حتى صار الشرق والأنظمة العربية تتناثر رمادًا من خلال حروبه وهزائمه القاسية.

أما علاقة العنوان بالرواية فنجده "في هذا الصندوق ذاكرة جّدك ولكن كذلك ذاكرة المنطقة بكاملها وأحزانها وحرائقها، أنها مثل كمشة رماد بوذية لرجل لم تبق إلاَّ بقاياه محفوظة في زجاجة، الذاكرة عاجزة عن استرجاع الجسد ولكنها تحفظ الروح من التلف يا بني".[3]

كما قد يتبادر الى ذهن القارئ حينما يمعن في غلاف الرواية "رماد الشرق" في طبعتها الأولى تساؤل مهم والمتمثل في: ماهي مميزات الغلاف الأمامي لرماد الشرق وما علاقته بالعنوان الفرعي؟

صورة غلاف الرواية غني من ناحية المعطي البصري وإغراء القارئ.

- **تجليات الإسلاموفوبيا في غلاف الرواية**

كتب العنوان "رماد الشرق" بخط غليظ وبلون برتقالي لون النار المحترقة منذ زمن بعيد يعلوه لون مختلط أسود ورمادي دلالة على شدة اللهب والإحتراق والذي يتكاثف وينطلق من جهات متنوعة ومتعددة ترميزا لمنابعه «والتي تتحذ في أعلى الصورة وكأنها حرب واحدة امتد لهيبها منذ أمد العصور، الحرب المتأججة في ضمائر وقلوب (الصليبيين) الغرب والتي توهم القارئ بأنها نتاج المسلمين والعرب، في حين جاءت عبارة «خريف نيويورك» أسفل الصورة بلون أبيض وداخل إطار كبير أسود لتشكل معظلة الإنسانية جمعاء فهي قاعدة لكل التفجيرات التي حدثت في الأعلى، وهي التي بعثت الحقد الصليبي من الأعماق لتهز كل العالم وتستهدف بالأخص العرب المسلمين، هي السبب والدافع الذي شكل تحالف غربي جهنمي يكتسح العراق وسوريا وفلسطين...

الحقد الصليبي الذي يمثله اللون الأسود هو الذي افتعل كل تلك التفجيرات ليبعث من جديد معركة الوجود والهيمنة الاستعمارية ومعاداة الآخر باسم التحضر تارة وبإسم حرية الإنسان ومحاربة التطرف طورا

آخر... لتغيب هوية الشعوب العربية وتطمس معالمها إدراكا لما يتميز به الإسلام، فهو دين وشريعة صالحة لإدارة حياة البشر.

تظهر مدينة نيويورك باللون البرتقالي الداكن تتخلله بعض البنايات الملونة بالأبيض مما يوحي بتواجد المسلمين الإيجابي وقد تجلى ذلك من خلال ما قام بيه جاز في مساعدة المصابين، كما أن انشغاله بإنجاز سيمفونية موسيقية هو فكر حر وقلب ينبض بالحياة يسعى لتقارب الشعوب وتذكيرها بمآسينا بطريقة حضارية لا تخلو من المتعة والغوص في أعماق التاريخ والذاكرة دون عنف، هي مجرد ذكريات

[1] وهبة مجدي، كامل المهندس، معجم المصطلحات في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص85.
[2] سورة إبراهيم، الآية 18.
[3] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1، منشورات الجمل، بيروت، لبيان، ط1، 2013، ص137.

تنبعث وتسجل ليذكرها الجميع ويحترموا من خلالها حق الإنسان المسلم في الحياة الكريمة وحقه في الحرية... وهذا ما تتقاسمه معه "ميترا" التي هي أيضا قدمت هاربة من ويلات الظلم والاستبداد.

الألوان البيضاء هي أيضا ترمز لوجود أصوات رغم قلتها تصدح بالحق وتؤيد حرية الشعوب في تقرير مصيرها... وحرية الشعوب في الحفاظ على هويتها والإقبال على الحياة والتمتع بها.

أعلى الصورة جاء اسم الكاتب "واسيني" لجلب انتباه القارئ من جهة ولبعث رسالة تقرأ من خلالها أفكار العالم الجديد المتحضر "فواسيني" اسم لولي صالح، والولي الصالح له مكانته وآراءه وله مريدوه وعادة ما يكون الولي الصالح هو قائد في قبيلته أو عشيرته...[1]

وهنا تربع "واسيني الأعرج" على عرش الأدب الجزائري والعربي ليبلغنا رسالة أهمها "الحفاظ على الهوية والتاريخ هو أساس كل هوية، فقراءته بتمعن تعيد لنا الذاكرة لنمعن النظر في حاضرنا تمهيدا لصناعة مستقبلنا... والإسلاموفوبيا كذبة الغرب لاستعمار الشرق استجابة لحق صليبي دفين وخوفا من انتشار الإسلام وفاعليته في القلوب والعقول ولتميزه عن باقي الأديان الوضعية.

"رماد الشرق" الرماد بقايا الإحتراق والذي نستعمله للطهي، وقد نقتات على ناره... لكنه قد لا يبعث النار من جديد إذا وجد من يغذيه ويمده بالحطب ... وهنا القصد... إذا ما توفرت الأسباب والظروف قد لا نأمن هؤلاء المستضعفين في محاربة جلادهم في أية لحظة... وكذلك يستطيع الغرب اذكاء نار الفتنة وتغذيتها للإنتقام من العرب وذنبهم الوحيد هو "الحقد الصليبي الدفين والذي خبى لكنه لم ولن ينطفئ أبدا".

رماد الشرق تشير دلالة الرماد الى الإقصاء التام للوجود الفعلي للشرق ودخوله في حالة موت على جميع الأصعدة.

ـ هناك سمات إحالية للواقع المرير تشبع بدلالتها عبر المتخيل السردي لواسيني الأعرج، وهذا ما تهتم السيميائيات في استنطاق دلالة العنوان باعتبار العلامة الأيقونة التي تحيل على مضمون المتخيل السردي بصورة ما من صوره لتلقيه سمياء الثقافة من ناحية تفكيك العلامة الإشارية المدرة للصورة الذهنية.
فتعريج الواقع على رواية "رماد الشرق" تتجلى في تصدر مصطلح الرماد التركيب النحوى ليشير بدلاليته الى رموز الفناء والخراب فالسكونية، التي غلفت بضلاليتها على الشرق الدليل اللغوي الذي دخل معه في علاقة اسنادية وصدفية تعريفية للرماد، باعتبار الشرق الدلالة الإسنادية في وقوع محمول الدليل اللغوي للرماد عليها **"لا يا جاز؟ لا يا حبيبي** العرب لحم المدافع، وكانوا في حاجة الى أناس يرمونهم في الاتون، ولكن القيادة لم تمنح أبدا لا لفيصل ولا لناصر ولا لغيرهما، كان الليبي هو سيد الحرب ومسيرها و ... وعندما بدأ العرب يقطنون كان كل شيء قد انتهى أو كاد ينتهي ... كاد...."[2]
إذن رواية "رماد الشرق" هي خريف الذاكرة التي ظلت تقاوم لتجعلنا نسمع احتراقاتها الداخلية عبر قرن من الزمن.
ومن حيث البناء الروائي للرواية، فإنها لا تأخذ شكلا إنسيابيا وإنما هي عبارة عن محطات تتخللها وقفات متنوعة تتداخل فيما بينها بشكل مميز، وتحيطها على مستوى السرد.

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 5.
[2] المصدر نفسه، ص 338.

2- دراسة الشخصيات (تقديم الشخصيات)

تمهيد: تعتبر الشخصيات في بنية النص الروائي ركنا ذا أهمية بالغة، إذ هي من الأركان الأساسية التي تتجلى عبر أفعالها الأحداث، وتتضح الأفكار وتختلق حياة خاصة، ومنه فإن الشخصيات هي العمود الفقري للرواية، لذاك ينتقيها الروائي بعناية شديدة واهتمام متزايد بوصفها بؤرة الحدث ونقطة استقطاب له.

الشخصيات المتخيلة		الشخصيات الواقعية (التاريخية)	
الشخصيات الرئيسية	الشخصيات الثانوية	الشخصيات الرئيسية	الشخصيات الثانوية
- جاز - بابا شريف - ميترا	- مايا - يما صفية - مانيا - راتشيل	- الأمير فيصل - لورانس - عبد القادر الصغير - الأمير سعيد الجزائري	- سليم الجزائري - عز الدين - الشريف حسين - شكري الأيوبي - رضا الركابي - يوسف العظمة - نوري سعيد - جمال باشا اللنبي

2-أ- الشخصيات المتخيلة

2-أ-1- الشخصيات الرئيسية:

البطل: جاز: بطل القصة يرتبط اسمه بنوع من الموسيقى الغربية، ولد في الولايات المتحدة من أب إيطالي وأم عربية، حضوره من بداية الرواية الى نهايتها إلا عندما يلتجئ للتذكر واسترجاع الماضي من خلال حكايا بابا شريف الذي يصبح عندها بطل القصة.

لم يفرد "واسيني الأعرج" أوصافا خاصة بملامحه أو جسمه أو وجهه، ولم يشر إلى أوضاعه الإقتصادية، ومن خلال الأحداث نستنتج أنه يمتلك مستوى إقتصادي مناسب، باعتباره مايسترو، وله شقة في نيويورك. أما البعد الاجتماعي، فهو عربي مسلم نشأ وترعرع وتربى في ظل الثقافة الغربية، رغم ذلك فهو مهتم بتاريخ أجداده ووطنه، تأثر بأمه الرسامة حيث اكتسب جانب الفن منها، لكنه لا يتكلم عن والده، فقد افتقده منذ الصغر.

يحب جاز جدّه ويدرك جيّدا الحياة الصعبة التي عاشها... والمعاناة التي قهرته. لذلك يسعى بطموحه لكتابة التاريخ المنسي ويعبر عنه بسيمفونية موسيقية تترجم تاريخ العالم العربي وتوصله إلى الآخر.[1]

يتأثر بإنهيار البرجين، ويسرع الى المستشفى لمساعدة المصابين فنستنتج رقته وشفقته، ومن هنا نكتشف ما لم يقله الراوي عن هذه الشخصية من خلال تصرفاته، فهو إنسان حساس يحب الناس ويسعى لمساعدتهم حتى أنه ينسى الأكل طوال اليوم. لكنه يتفاجأ بتصرفات المتظاهرين أمام الأوبرا عندما كان يتدرب مع الموسيقيين، لقد ترك الطب وفضل الموسيقى، وهنا واجه وابلا من الشتائم، حيث قال أحدهم

[1] فرشتة آذرنيا، **بناء الشخصية في رواية رماد الشرق لواسيني الأعرج**، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة النجف الأشرف، المجلد 1، العدد 41، 1997، ص351

«أعد لي أيها الإرهابي القاتل رجلي ولحمي الذي أحرقته، لا نريد بيننا العرب والمسلمين الذين تسللوا الى بروكلين، هذه الأرض ليست لهم، ليخرجوا... ليخرجوا...»[1]

تفاجأ جاز بواقع المجتمع الأمريكي بل بأفكاره حيث جرت أعمال انتقامية ضد المسلمين، لقد أحس بحزن شديد، فترك الأوبرا وعاد الى مهنة الطب، لكن فيليب (مدير الأوبرا) ألح عليه ليرجع الى عمله ويحضر السيمفونية، ليقاسمه شعور الخيبة... إنه إحساس فضيع لقد ظن جاز أمريكا وطنه، البلد الذي تربى فيه حيث منحه كل شيء في الحياة، الحرية... لكن فجأة تغير كل شيء لتتغير نظرته، فيحضر الى معرض الصور بمركز ثقافات الشرق الذي يعمل على تغيير الذهنيات اتجاه المسلمين والعرب، وهنا استوقفته لوحة صورة تاريخية ... صورة سليم الجزائري وأصدقائه قبل الإعدام، ويعتقد أنه رآها عند جده، ليبحث عن سرها وأحداثها بدقة. وجاز كغيره من أبناء جيله يعاني في تحديد هويته، فينتقل الى مدينة طوليدو باهايو عند جده بحثا عنها.

بابا شريف: هو بطل الرواية في الزمن الماضي، وجاز بطل في الزمن الحاضر، وبما أن الروائي أعطى خيزا كبيرا لقصة الماضي أي نصف الرواية تقريبا فتكتشف صفات ودور "بابا شريف" من الصفحات الأولى وكذلك من خلال حوار جاز مع ميترا: «أمي كانت تقول لي دائما جدّك طيب، ولكن حياته القاسية علمته الانفراد والعزلة، وأية زيارة له هي اغتصاب لمساحة ما من العزلة القاتلة، ثم أني لم أكن دائما البنت التي اشتهاها، أبي دخل أمريكا بعقل حيّ، ولكن الهزائم المتكررة كسرته حتى صار هشا.

"شريف" والده "سليم الجزائري وأمه يما صفية امرأة فلسطينية، ولد سنة 1905 وحضر إعدام أبيه في ساحة البرج ببيروت سنة 1916، عاش حوالي قرنا وعايش معها كل الهزائم والحروب والمظالم. كان محبا لوطنه وللحياة، عمل على منع هجرة اليهود السّرية الى الأراضي الفلسطينية.

هو شخصية متخيلة لكن تواجدها داخل أحداث تاريخية قرب إلينا الماضي المؤلم، يحاول جاز كسر صمته واستنطاق ما بداخله وبمخيلته ليعيد له ذاكرته والمقطع التالي يقرب لنا فكر وايديولوجية شريف حول التاريخ: «التاريخ أجمل كذبة ينسجها المنتصرون كما يشاؤون، ويسرقونها كما يشتهون».

ما نقرأه اليوم هو ما يكتبه الأفراد عن الأفراد، لكن هناك دائما تاريخا لا يعرفه إلا من عاشه، وكثيرا ما يأخذه معه، ولا أحد يدري التفاصيل أبدا[2]

شخصية "بابا شريف" هي نموذج للشعب العربي طوال القرن العشرين، ولتقريب التاريخ من ذاكرة الجيل الجديد، اختار الكاتب هذه الشخصية التخيلية التي ترمز الى معاناة وانهزامات الجيل كامل. فعندما تهجم هاغانا على بيته في "ديرياسين" (فلسطين) أين تقتل أمة (يما صفية)، وزوجته الحامل (مانيا)، فيهرب رفقة ابنته مايا الى الولايات المتحدة الأمريكية، تلك الصور لا تزال تتعقبه، فقد شرد من ارضه وقضي على عائلته، لهذا يخفي كل هذا الألم ملتزما الصّمت ولا شيء قد يريحه غير الصّمت، فلا أمل ولا اقبال على الحياة، فهو مهزوم نفسيا.

ميترا: اسمها بمعنى المحبة والصداقة، يرمز الى أحد الآلهة في إيران، وهو إله الشمس والضّوء، وهذه الشخصية حضورها من الصفحات الأولى مرتبط بحضور "جاز"، هي نموذج المرأة المثقفة الواعية الراقية، عازفة الكمان في الفرقة الموسيقية في الأوبرا، وصديقة "جاز" وعشيقته.

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص40
[2] فرشتة آذرنيا، بناء الشخصية في رواية رماد الشرق لواسيني الأعرج، مرجع سابق، ص353.

ولد ت في إيران، والدها موسيقي عازف السنطور قبل الثورة الإسلامية الإيرانية وقد سجن ومات أثناء الثورة مما أرغمها على الهجرة رفقة أمها الى أمريكا، فتاة مفعمة بحب وطنها رغم معارضتها للنظام الحاكم الذي يمنع حرية الإنسان.

اختيار الكاتب لهذه الشخصية باعتبارها شخصية حرة غير مقيدة، وهي أدبية وموسيقية، وما حضورها مع "جاز" في انجاز السيمفونية إلا استجابة لمشاعرها تجاه وطنها، والسمة المشتركة بين هذه الشخصيات هي حبها لوطنها، فهم يتقاسمون الآلام والآمال والمستقبل.

2-أ-2- الشخصيات المتخيلة الثانوية:

''مايا'' هي ابنة شريف ووالدة "جاز"، لم يفرد المؤلف لها صفات إلا ما جاء عن طريق مونولوج "جاز" واسترجاع ذكرياته، أو عن طريق حوار "جاز" مع ميترا، أو حوار "جاز" مع "بابا شريف"، ومن خلال مونولوج "جاز": «خريف هذه المدينة وخيباته يذكرني بمايا، أمّي التي لم تشبع قدسها»[1]

نعرف أنها امرأة فلسطينية ماتت خريف العام الماضي، تركت وطنها وهاجرت الى أمريكا حيث رسمت لوحة "خريف نيويورك الأخير" المعلقة في بيت "جاز" تختلف مع "جاز" في نظرتها للحياة رغم حبها الكبير له.

''يما صفية'': والدة "بابا شريف" وزوجة سليم الجزائري، هي امرأة شجاعة مقاومة ومضحية لأجل عائلتها، شهدت إعدام زوجها "سليم" وأحضرت ابنها "شريف" لتلبية وصية أبيه، ضحت بنفسها لأجل حماية زوجة ابنها من هجوم هاغانا على بيتهم.[2]

''مانيا'' زوجة شريف وابنة خالته، ويأتي وصفها عن طريق "بابا شريف" «عيناها كانتا خضراوين مثل لوزتين من لوز حيفا، طريتين قبل أن تتصلبا في استدارة جد محكمة ومتناسقة مع انسجام قليل من الأطراف، شعر أشقر مثل شعر خالتي، لو وضعتها في شارع مع ألمانية لما عرفت الفرق بينهما عينان ناعستان قليلا كأنهما تنامان على سّر جميل...»[3]

كانت ترسم رغم ذلك رفضت رسم سلاح سليم وحصانه لكرهها للحرب، فردت في حوار مع شريف: «ما بحب لا أحصنة ولا الحرب ولا القطارات التي بتحمل عساكر الترك والألمان...»[4]

هي امرأة مسلمة، محبة للحياة، تمتلك إحساس الفنان الراقي المسالم، وكانت نهايتها رمي نفسها من الطابق الثاني حفاظا على الشرف والكرامة.

في الرّواية حضورا أنثويا يتخلل الخطاب التاريخي ليقلل من حدته، وليضفي نوعا من الجمال والجاذبية والهدوء عندما تخفف مانيا عن شريف حالة الفقد، وما تحدثه "يما صفية" من حضور له أثره

2 الطيب واللطيف في الرواية.

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص10
[2] المصدر نفسه، ص 354-355-356.
[3] المصدر نفسه، ص 246
[4] المصدر نفسه، ص 249

2-ب- الشخصيات الواقعية (التاريخية)

2-ب-1- الشخصيات الواقعية:

الأمير فيصل: قائد القوات العربية لتشكيل الدول العربية المستقلة، خاض الحروب ضد الأتراك، وحاول الوصول الى دمشق لإعلان الدولة العربية، لكنه كان يجهل ما يخبئه له الانجليز وما احتوته اتفاقية سايس بيكو، فيصل بن الحسين بن علي الحسين الهاشمي ملك العراق، من أشهر قادة العرب حديثا، ولد في الطائف، كان نائبا في مجلس النواب العثماني في سنة 1913. اعتلى عرش العراق سنة 1923 وأصلح العراق وجيرانه.

لورانس: شخصية يتركها الروائي مبهمة ليكتشفها القارئ ويميزها من خلال أحداث الرواية المتتالية، فهو مساعد الأمير فيصل في الثورة العربية، تفطن له الأمير عبد القادر الصغير لكنه لم يمهله فعند دخوله دمشق قام بإعدامه وسجن الأمير سعيد. لقد كان قاسيا جدا يدفن الجنود الأتراك المرضى والجرحى أحياء، وعمل على ابعاد المغاربة والتقليل من نفوذهم كان له ولاء مطلق لبريطانيا وللصهيونية العالمية، وسعى دائما للإيقاع بين العرب والأتراك لتحقيق فرنسا وبريطانيا أهدافهما في احتلال فلسطين وسوريا ولبنان.

عبد القادر الصغير: من أحفاد الأمير عبد القادر، كان شجاعا مقداما، عكس أخيه الأمير سعيد، يقول الراوي شريف عنه: «سمعت الكثير عن شجاعته وجرأته وقوته... كان على خلاف مميت مع جمال باشا، يقول الذين عرفوه من قرب إنّه أقسم ألا يدخل الشّام إلاّ إذا علق على نفس الخشبة جمال باشا»[1]

«هو لا يتحمل المنفى ويهرب من بروسة، ويقطع المسافات بين تركيا والحجاز تارة في زي فلاح تركي أو كردي... حتى إن العض سموه أبو الأوجه السّبعة. كان موسم الحج فانظم الى قوافل الحج... ويتفق مع الأمير فيصل على أن يسبقهم لدمشق لإعلان الدولة العربية قبل وصولهم... يقتل هذا الرجل الشجاع والمناضل على يد لورانس الذي كان بينهما خلاف (1918).[2]

الأمير سعيد: هو الحفيد المباشر للأمير عبد القادر الجد، عرف برجاحة العقل، وهو أحد وجهاء دمشق، لقد ورث عن جده السياسة وتعاطي الكتابة وإصلاح ذات البين حتى انزعج الناس منه للطفه مع جمال السفاح الذي أعدم سليم الجزائري، وهدم مقام الأمير عبد القادر... لكن جمال السفاح كان يعامله بفضاضة فقد نفاه الى بروسة، ثم أرسل إليه ليكون وسيطا بينه وبين الأمير فيصل الذي يرفض كل صلح معه.

2-ب-2- الشخصيات الواقعية الثانوية:

سليم الجزائري: كما يتضح ويبدو من أقوال يما صفية (زوجته) وبابا شريف (ابنه) والآخرين أنه كان رجلا متفردا بالشجاعة والبطولة، إنضم الى الثوار الذين يسعون للاستقلال عن تركيا. كان أحد قادة الجيش التركي يحلم ويتمنى الموت في لباسه العسكري، أعدمه جمال باشا وهو يقول لوالدته: «سلمي كل شيء لشريف عندما يكبر قليلا، أريده أن يرى والده لحظة موته ليحفظ جيدا أن والده لم يلن أمام حق أمته...»[3]

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 208
[2] المصدر نفسه، ص 303
[3] المصدر نفسه، ص198

هذه الشخصية واقعية: وهو سليم بك بن محمد بن سعيد الحسني الجزائري، بطل من أبطال الحركة الوطنية في بلاد الشام، أصله جزائري، ولد وترعرع في دمشق، اكتسب علومه من المدرسة الحربية ومدرسة الهندسة البرية في الاستانة ، كان عقيدا في الجيش العثماني، عارض السياسة التركية وأعدم نتيجة آرائه الحرة ومطالبته بالمساواة بين العرب والأتراك.

عز الدين: عم شريف يحبه كثيرا، تقرب من بعد وفاة والده فكان له تأثير كبير في فكره وعقائده وأعماله فيما بعد. علمه ركوب الخيل واستعمال السلاح، علمه أوضاع مجتمعه وأعدّه للذود عن أرضه ووطنه. هو شخصية حقيقية حيث جاء في أعلام الجزائر: «عز الدين محي الدين الحسيني الجزائري حفيد الأمير عبد القادر من جهة والدته، أمير مجاهد من شهداء ثورة سوريا الاستقلالية، ولد في دمشق وفيها تلقى علومه الأولى، ثم انتقل الى الكلية الإسلامية ببيروت، ونشبت الحرب العالمية الأولى فاعتقل الترك أسرته ونفوها الى بروسة، وبعد الحرب عادت الأسرة الى دمشق، عندما نشبت الثورة السورية إلتحق بجبهة القتال وسقط شهيدا في معركة "عين الصاحب" في الغوطة.[1]

ركز المؤلف على البعد النفسي الداخلي للشخصيات المتخيلة أكثر من الشخصيات التاريخية، وخاصة الشخصيات الأصلية، فيمكننا تحديد عقائدهم وأعمالهم وأفكارهم بل وأحاسيسهم، في حين ترك دواخل الشخصيات التاريخية غامضة مبهمة لا نستطيع الوصول إليها، لأنها حقيقية فلا يمكن تخيلها، فهي تتماشى والحقائق التاريخية. وهناك شخصيات أخرى تاريخية ذكرها الكاتب دون الولوج الى وصفها للقارئ مثل: شكري الأيوبي، رضا الركابي، يوسف العظمة، نوري الشعلان، جمال باشا، اللنبي

- تقديم الشخصيات في الرواية:

اعتمد الكاتب طرائق عدة لتقديم الشخصيات في الرواية، هذا التنوع مكنه من تحقيق الغرض وبلوغ الهدف فيعتمد تارة على الوصف مثل وصف بابا شريف: «اختار بابا شريف حياة أخرى في مدينة غير مدينة ديترويت التي استقبلته في أول منفى له، قضى في مصانعها للسيارات زمنا طويلا تحته وأكل جزءا من لحمه، يشعر أنها نهبته أكثر مما أخذ منها... بعد سنوات اختار طوليدو في أوهايو المحاذية لميشغان ... لم يتغير عمله فقد واصل انغماسه في صناعة السيارات والزجاج»[2]

وهذه التوصيفات تخص غالبا الأخلاق والأفكار والأعمال مثل وصفه أيضا الأمير فيصل: «مزاجه وردود فعله لا تسلم من نزقه الذي ينتابه من حين لآخر، ردوده تكون دائما مشفوعة برفض صريح أو مبطن»[3]

لم يتعرض "الأعرج" لوصف البعد الخارجي والملامح والثياب والشكل الظاهري إلا نادرا مثل: «وجهها الطفولي المرتبك غيب بياض عينيها الواسعتين»[4]

وكما أشرنا سابقا الراوي الداخلي بابا شريف قدم توصيفا خارجيا دقيقا عن مانيا، كما تميز المؤلف باعتماد طريقة الكشف عن تقديم الشخصيات من خلال الحوارات الطويلة، فيتعرف القارئ تدريجيا عليها مع تشويقه للقصة فيضفي عليها جمالا وتفردا، ويركز أيضا على أعماق ذهن الشخصيات مستدعيا الأفكار والمشاعر لينقل للقارئ الخصوصيات النفسية والتفاعلية لها. وأحيانا يلتجيء للقارئ ليشاركه

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 359-360-361.
[2] المصدر نفسه، ص 103
[3] المصدر نفسه، ص 216
[4] المصدر نفسه، ص13

التعرف على تلك الشخصيات وهذا تجديد يحسب له، كما أن بطله إنسان عادي بمشاعره وأحاسيسه وتعاملاته، فهو فنان ذو حس مرهف رومانسي وهي صفة الفنانين اليوم. و"بابا شريف" البطل الآخر للقصة هو إنسان بأخطائه وآلامه وآماله وأحلامه كسائر البشر، مما جعله قريبا من القارئ وأكثر واقعية في الرواية.

وختاما ترك "الأعرج" وصف الشخصيات للقارئ ليضفي عليها ما يشاء ويرسمها في مخيلته كيفما يشاء، فقط ركز على الجانب النفسي والفكري لها.[1]

1- الزمن الروائي في رواية ''رماد الشرق'' لواسيني الأعرج''

تمهيد: إن الزمن مرتبط بحركة الأشياء وتغيرها المستمر، سواء عند دراسة مراحل حياة الإنسان أو بوصفه أحداث مشتركة بين الإنسانية جمعاء، والزمن هو القاعدة الأساسية لأي عمل أدبي إبداعي خاصة ما تعلق بالنص الروائي، والشكلانيون الروس أول من اهتموا بالزمن في نظرية الأدب، وحاولوا تحديده من خلال الأعمال السردية، وقد وفقوا في ذلك خاصة عند تركيزهم على العلاقات التي تجمع بين الأحداث وتربط أجزائها.

في بداية الثمانينات ظهر جيل جديد في الرواية الجزائرية والعربية ومن أبرزهم "واسيني الأعرج" والذي أبدع في بنية الزمن والمكان والشخصيات ولغة الحكي والحوار والرؤية السردية.

الزمن الروائي:

رواية "رماد الشرق" تبدأ بحوار بين شخصين جاز وميترا، ومنه نكتشف أسلوبا الزمن فيها يختلف عنه في الرواية الكلاسيكية التي تبدأ بتحديد المكان والزمان والأحداث، لكن الزمن حديثا كل مبدع حر في اختيار بداية قصته.

فالزمن الحاضر في القصة يبدأ من أحداث 11 سبتمبر في فصل الخريف لما يرمز له هذا الفصل من خيبة وانكسار وهذا يتوافق وطبيعة الشخصيات النفسية وما عاشته من مرارة الظلم والقتل والتشرد، أما الزمن الثاني فيتعلق بطفولة وحياة "بابا شريف" ليمتد الى الزمن الحاضر أي ما يقارب القرن، ويصر الكاتب على تحديد الزمن بدقة خاصة عند توظيف الأحداث التاريخية منها 11 سبتمبر، فجر 16 ماي 1916 يوم إعدام سليم الجزائري وأصدقائه، إشارات الى حوادث 1926 و1928...، أما في أغلب الرواية يبقى الزمن مجهولا عند القارئ.

- تمظهرات المفارقات الزمنية في ''رماد لشرق''

تشهد الرواية تداخلا زمنيا يقضي على تتابع الأحداث وتسلسلها، فيقدمها بطريقة جديدة معتمدا على الاسترجاع والاستباق، تتم الاسترجاعات بتوظيف المثيرات، فالصورة التي جذبت انتباهه في المعرض أثارت انتباهه ليسأل عنها، ويتقصى حقائقها التاريخية، ثم صندوق "بابا شريف" الذي يمثل ذاكرة المنطقة بما يحتويه من صور يتم من خلالها استدعاء الماضي البعيد بكل تفاصيله وآلامه ومعاناته، وكذلك لوحة "خريف نيويورك الأخير" التي رسمتها أمه (مايا) التي تذكره بما عاشه رفقة أمه ، وصوت فيروز وهو يصدح يعيد له حديث أمه عن حبها لهذا الصوت الرائع. هناك كثافة في الاسترجاعات، لكنها لم تقلل من جمالية النص بقدر ما أضاءت جوانب خفية من تاريخ العرب، وحملت في طياتها بواعث ما نعيشه اليوم.

[1] إضاءات نقدية، السنة السابعة، ع: 25، 31 مارس 2017، جامعة ازاد الإسلامية، كرخ، إيران ص2 -3

إذا كان الاسترجاع قد أخذ حيزا كبيرا في رواية "رماد الشرق" رغم ذلك فهي لا تخلو من الاستباق والاتجاه الى المستقبل ومن أمثلة عن ذلك «هل تذهب معنا لخوض الحرب؟ مازحني يوسف العظمة وهو لا يعلم أنّ كلامه الذي أطلقه جزافا ومحاباة لابن شهيد سيتحول الى كلام سيلاحقني طوال حياتي»[1]

هذا الكلام سيتحقق في المستقبل، والاستباق يخلق لدى القارئ حالة من التشويق والانتظار، وأيضا هناك إشارات استباقية في بداية الرواية توحي لوقوع حادث لاحقا منها: «كان جاز يشعر بإنهاك كبير في أعماقه، وبخوف ما، من شيء غامض لم يكن قادرا على لمسه»[2]

لقد وظف الكاتب مفارقات زمنية من خلال اختلاف زمن القصة وزمن الخطاب، فهو ينقل السرد كما يشاء من الماضي الى المستقبل متلاعبا بالزمن.

- زمن الحكاية:

يبدأ من مرحلة طفولة شريف وهو في الخامسة من عمره، كما يتحدث الراوي عن اتفاقية "سايس بيكو" سنة 1916. وعن قضية اعدام الأحرار ومنهم سليم الجزائري سنة 1916. وانتقال شريف رفقة أمه الى دمشق ومحاولة أمير سعيد الجزائري الصلح بين العرب والأتراك، تشكيل حكومة صهيونية في فلسطين نوفمبر 1917، تسلم الانجليز للقدس 9 ديسمبر 1917، ثم سعى الأمير فيصل رفقة لورانس العرب لتكوين حكومة عربية مستقلة، تلاها قتل أمير عبد القادر الصغير 1919، ثم تأتي حكاية شريف ورجوعه الى فلسطين ليتزوج من (مانيا)، ليصف لنا حالة فلسطين في هذه الحقبة الزمنية وما عاشه شريف من أحداث وانضمامه الى القوات الفلسطينية الى أن وقعت الحرب بين هاغانا والفلسطينيين وما نتج عنها من مآسي خاصة ما تعلق بعائلة شريف، حيث يهاجر الى أمريكا رفقة ابنته التي تتوفى خريف 2000، وقوع انفجار البرجين وتصاعد أعمال العنف ضد المسلمين.

زيارة "جاز" للمعرض لمواجهة العنصرية ويصطدم بالصورة، فينتقل الى طوليدو للاستفسار عن سرها، وأخيرا انجاز السيمفونية "رماد الشرق" وحضور "بابا شريف" في قاعة أوبرا.[3]

- تمظهرات الإيقاع:

يقوم السارد بعمله السردي ضمن إطار زمني معين، يلتزم فيه بترتيب زمني محدد أو يعمد الى تكسيره وخلخلته من خلال سرعة السرد أو بطئه.

- **تسريع السرد:** لتسريع الزمن يعمد السارد الى تقنيتي الحذف والتلخيص ليسرع زمن سرد الأحداث، إذا كانت غير مهمة للقارئ.

يريد "واسيني الأعرج" من القارئ أن يتعمق في الحاضر ويسترجع أحداث الماضي للاستفادة منها، وقراءتها قراءة صحيحة يستلهم منها القارئ ما يضيء واقعه ويصنع مستقبله، مثل الحذف الذي وقع في الزمن الحاضر بمجرد وقوع انفجار البرجين عاد "جاز" للمستشفى لمعالجة الجرحى: «قلت الحركة في شوارع نيويورك الواسعة وسادت حالة ذهول غريبة تشبه إغفاءة الموت ...»[4] ثم يسرع السرد الى زمن

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 432
[2] المصدر نفسه، ص 13
[3] المصدر نفسه، ص21-24-30-33
[4] المصدر نفسه، ص 35

يكون فيه "جاز" في المستشفى «منذ يومين لم يغمض جاز عينيه ... عندما صعد الأدراج الخمسة للمستشفى لأول مرة لم يكن يقدر هول الفاجعة»[1]

عند الحذف يصعب تحديد الزمن بدقة.

- **إبطاء السرد:**

يتم عن طريق تقنيات المشهد والمونولوج والوقفة الوصفية والحوار الاسترجاعي الذي حاز على صفحات عديدة من الرواية، وكل هذا التوظيف يؤدي الى تغيير في بنية الزمن الروائي.

وختاما يؤمن "واسيني الأعرج" بالتجديد والتجريب في الرواية الجزائرية فإلهامه وإبداعه يتجلى في التحكم والتلاعب بالزمن مع تشويق القارئ للأحداث السردية. فقد خالف غيره من الأدباء ولم يخضع روايته "رماد الشرق" لقالب جاهز، فهو يجسد رؤية جديدة فكرية وجمالية تختزل الأحداث وتتعدى الحوارات تكسيرا لعمودية السرد.

إننا أمام رواية تمازج بين التراث والحداثة، تسرد التاريخ انطلاقا من وضع حاضر، وهذا ما جعل كتاباته متفردة مثيرة ومشوقة.[2]

3- المكان:

إلى جانب الشخصية يعدُّ المكان أحد المكونات الأساسية التي يقوم عليها عمود النَّص السّردي، فلا يمكن أن نتصور نصاً سرديا أو حكائيا بدون مكان، وفي الآن ذاته يمنك أن تكون هناك أحداث دون حيز تقع فيه، فالمكان هو ذلك الإطار الجغرافي الذي يختاره القاص من نسج خياله على حسب عمل الشخصيات فيخلق لنا أمكنة متعددة.

تصفحنا لمضمون الرواية أمكن لنا الوصول الى نتيجة مفادها، أن الفضاء الجغرافي في رواية "رماد الشرق" لـ "واسيني الأعرج" تفرع الى أماكن مفتوحة عديدة اعتمد الروائي عليها في تشكيل نصه السّردي بغية إطلاق خيال القارئ أمام استكشاف منهجية الأمكنة،[3] من الفضاءات المفتوحة نذكر:

- الأحياء والشوارع:

في معظم مدن العالم ومنها المدن العربية توجد الكثير من الأحياء الشعبية، وفي إيران بالتحديد في طهران يوجد في الملاهي، مختلط الأجناس (فيه العرب، الفرس، الأكراد... إلخ) وهو الحي الذي تخيلته "ميترا" أثناء بداية عزفها : « رأت ميترا شعلات النار وهي تأكل حي الملاهي في وسط طهران التي كانت ترفع الأعلام الخضراء وتنزل كل الألوان الأخرى تصاعدت الأصوات المرتبكة والمذعورة تطلب النجدة لكن لا أحد يسمع للصراخ»[4] لتجسد بذلك الآلام والأحزان التي تعاني منها في هذا الحي العتيق، والذي سلب منها قرة عينها "أبوها شيرازي"، الذي قتل تحت التعذيب في سجن من سجون طهران، عن طريق العزف الذي تحول هو الآخر الى ألم يشبه النحيب، والى إيقاع يشبه النشيج والبكاء. في موضع آخر يجسد الروائي شوارع طوليدو في قوله: «بدت له شوارع طوليدو والتي كانت تتسرب من الأعالي

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 28
[2] المصدر نفسه، ص 33-34.
[3] فيصل غازي النعيمي، **الشعرية المحكى دراسات في المتخيل السردي العربي**، ص69.
[4] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص90.

بشكل ثعباني شبيهة بشوارع المدينة الاسبانية عندما ترى من أعالي القصر القديم الواقع على مرتفع المدينة وهي تتدحرج تجاه نهر التاج الذي يعيرها متعرجا في تدفقه في اتجاه لشبونة قبل أن يندفن نهائيا في أعماق المحيط الأطلسي».[1]

المدينة: يضمن الروائي في نصه "رماد الشرق" فضاء المدينة والذي تمثل في عدة مشاهد نذكر:

- **مدينة نيويورك:**

تقع مدينة نيويورك في قلب قارة أمريكا الشمالية، هي المدينة التي استقر فيها جاز وعاش فيها منذ الصغر، درس فيها وتخرج طبيبا وعمل بالمستشفى لمدة معتبرة من الزمن ثم تخلى عن الطلب ليتعلق بالموسيقى يقول: «عندما شرع النافذة على اتساعها كان يريد أن يرى المدينة التي اشتهاها والتي ملأته بتفاصيلها الصغيرة، في هذا الفصل بذات: نيويورك التي تحتله مثل وردة متوحشة، عندما يغادرها ولو لأيام أو الساعات يشعر بها معه، يسمع تقطع أنفاسها مثل عشيقة في لحظة ألقاها، يسحبها وراءه في ذاكرته وبين أشيائه الصغيرة، عندما يفتح حقائبه في المدن البعيدة: تسبقه هي بروائحها وعطرها وألوانها وفوضاها الجميلة وشوارعها التي لا تنتهي»[2]

مدينة يشوبها الهدوء والوحشة اللتين تزيدان المكان بؤسا، بدا لجاز أن فصل الخريف حل مكتئبا حزينا على نيويورك "تفاحة آدم الضخمة Big Appel"، حيث جعل من مدينة نيويورك وردة تشبه العشيقة والتي يأخذها معه أينما ذهب، لأنه عندما يسافر يشتاق إليها ويحن الى العودة للديار، يؤكد الروائي من خلال هذا المشهد أن المكان "مدينة نيويورك" هو المكان المرجعي لجاز، ولا يستطيع أن يفارقه فيخلق منه مكانا متخيلا فنيا جماليا.

- **المقهى:**

تعتبر القهوة هي عنصر أساسي في الحياة اليومية العربية، والتي تشمل قاسما مشتركا بين العرب قد تتغير أسماء المقاهي وتختلف، لكن لا يختلف دورها في كونها مكان الإلتقاء، مكان عام، يتميز بكثرة الزبائن وموطن الراحة والاسترخاء، الى جانب اللهو بالشطرنج والتمتع بالنرجيلة كما يوحي ببداية نشاط إنساني مثلا في رواية "رماد الشرق" يتجلى قوله: «تعرف يا الشريف أن المقهى قلب المدينة النابض، من دقاته نعرف حالة الأوضاع وحالة البشر»[3] ، يتحول المقهى من ملجأ لإلتقاء الأصدقاء ولسماع أحدث الأخبار، الى ملجأ للآلام التي لاشيء يداويها إلا الكلام، ويرجع ذلك الى انعكاس آثار القضايا السياسية بالسلب على المجتمع.

- **الطبيعة (السمّاء):**

ضمن الكاتب مشاهد الفضاء السماء، وهو مكان مفتوح في قوله: «رأى الغيوم الثقيلة التي كست السماء وهي تسرع للهرب بإتجاه آفاق أخرى أكثر دكنة مخلفة وراءها السماء بلا ملامح ولا أية نتوءات، سماء صافية».[4]

---

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1، مصدر سابق، ص 127.
[2] المصدر نفسه، ص10
[3] المصدر نفسه، ص207.
[4] المصدر نفسه، ص10.

عندما كانت السماء غير مستقرة مضطربة ومغيمة بغيمة كثيفة إلا أن غيومها تراجعت وانتشرت لتختفي مطلقا وتعطي للسماء ميزة الصفاء والاستقرار، يضفي الروائي على الفضاء الواقعي (نتوءات) متخيلة تزيد من قوة المشهد.

نخلص الى أن المكان هو بؤرة تجمع كل العلاقات التي تجمع عناصر بنية الرواية، وهو الهيكل الذي يحملها، فيتحول من كونه مجرد خلفية تقع عليها الأحداث الى اعتبارها عنصرا مهما في تشكيل عناصر السّرد، كما يخلق المكان بعدا جماليا يعكس قدرة الكاتب على توظيف أمكنة متعددة وقدرته على تقديمها في صورة فنية سامية.

طوليدو:

مكان مفتوح حقيقي يشبه الأندلس في الطابع العمراني والخضرة ورائحة الياسمين، وهو السبب الذي جعل " شريف " متعلقا به واتخذه مسكنا له، وتمسك به لرغبته في إحياء تلك الذكريات التي بقيت عالقة في ذاكرته خصوصا ما تعلق بابنته " مايا " بعدما كان يقطن " ديترويت " التي لم يتحمل البقاء فيها لضجيجها واكتظاظها بالناس والسيارات، " لكن اسم طوليدو وحده كان يؤنسه ويمنحه رائحة داخلية لم يحس بها وهو في ديترويت، طوليدو كانت أقرب نقطة إلى قلبه في هذه الغربة تتحمل صمته وسكوته" [1] فطوليد و بالنسبة لـ " شريف " تعني الكثير وليست مجرد مدينة يسكنها فقط، ففيها وجد راحته وسكينته وبها تعلق قلبه بعد أن خسر الأندلس لهروبه منها، فبنى أحلامه الضائعة : " إذا لم يكن قد وجد بالفعل في هذه المدينة الصغيرة ما يذكره بأمكنته الأولى أو تلك التي تخيلها دائما ، بعض بنايات المدينة أقواس الأسواق ضيق طرقاتها (...) تبين قليلا أن عطر الأندلس قد وصل إلى هنا وعبر هذه الشوارع الضيقة[2] إذن وجود " شريف " بها يعود لسبب نفسي وهو تعلقه بذكرياته الماضية في مدينته الأولى والأخيرة " الأندلس ".

الشام:

تعد الشام مكانا مفتوحًا حقيقيا في الرواية، وقد وصفها " واسيني " في روايته "رماد الشرق " لتوالي الأحداث التاريخية فيها سواء من ناحية الحكم أو الحكام، وما عاشته من هزائم وانكسارات ونجاحات، فقد تعرضت للحكم العثماني يقول الأمير السعيد في هذا الحكم في الشام: " يبدو لي سيدي أن الأمر معقد جدا هم متضررون من إصرار الأتراك على بقائهم في بلاد الشام ويطالبون بخروجكم ".[3]

وتعتبر مسقط العديد من الحروب وسفك للدماء فيها من قبل فرنسا وبريطانيا بحجتهم في الانتداب.

بيروت:

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 103
[2] المصدر نفسه، ص 106
[3] المصدر نفسه، ص 221.

بيروت مكان مهم ومميز في رواية "واسيني" فقد كانت بها أشهر الأماكن العالية ومكان انتهاء حياة العديد من الأبطال من أمثال " سليم الجزائري" " الشيخ أحمد حسن طبارة " وغيرهم، فقد وضعت هذه المشانق من قبل "جمال باشا" «منذ أكثر من يومين وهم يهيئون هذه المشانق بحماس كبير لم يكن أحد يجهل ما كان يحضره العسكر التركي بسده لكل منافذ ساحة البرج، بعض أسماء السجناء لم تكن غربية عن الناس: قائد الأركان " سليم الجزائري "، والصحفي سعيد فاضل عقل (...)».[1] فعند ما يحاول " جمال باشا " التخلص من أي شخص اعترض حكمه أو أحس بأنه سيسبب له ضررا يقوم بالقضاء عليه دون رحمة ويتجه به إلى حبل المشنقة الموجودة في " بيروت " ويعد موقع لتنفيذ الحكم.

المستشفى:

من الأماكن المغلقة وقد وضعه الكاتب في روايته في حادثة الانفجار الذي دمر العديد من البيوت وتسبب في إصابات بشرية كثيرة وحالة هرج ومرج في كل مكان حتى أن كل الأطباء قد استدعوا في هذه الحالة الطارئة من أجل إنقاذ الأرواح «قل إنك طبيب وإذا كانت لديك أية وثيقة طبية حتى ولو قديمة خذها معك ستساعدك»[2]. فقد كان جاز متخصصا في الطب، ولكنه ابتعد عنه لميوله الموسيقى وفضلها على الطب، لكن حينما اقتضى الأمر اضطر إلى العودة إليه حتى يقدم يد المساعدة للمصابين.

" المستشفى سيغرق بالجرحى بعد قليل، لا أعرف أنك في عالم آخر غير عالم الأدوية، ولكني أعرف كذلك جديتك وحبك للناس ".[3]

قدم المستشفى دعما للأحداث التاريخية من خلال معالجة الجرحى والمصابين وتقديم الدعم النفسي، ومن هذه الناحية كان المستشفى خير وسيلة لتطيب الجراح وشفائها.

دار الأوبرا:

قام " واسيني " في بداية روايته بالتركيز على الجانب الموسيقي الذي يهم بطل روايتنا الذي يعد عاشقا لها بعد ما ترك الطب لأجلها ومحاولة إنجاح مشروعه الفني الذي يضم تاريخ العرب من منجزات ومحطات، وتاريخ فقد الكثير. وقد تدرب كثيرا مع «ميترا " من أجل ذلك " طيب نلتقي إذن بعد قليل في الأوبرا، وبمجرد وصوله إلى الأوبرا انغمس مع جون في العمل»[4]

من أجل تدقيق بعض الايقاعات المغلوطة في السيمفونية يقوم بضبطها بالشكل الصحيح حتى تناسب هذا التاريخ المتشعب الأحداث المهمة والتي لا يمكن تجاوزها.

---

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 163
[2] المصدر نفسه، ص 24.
[3] المصدر نفسه، ص 24.
[4] المصدر نفسه، ص 59-60.

وقد توجه للمعرض حتى يوسع دائرة معرفته بهذه الأحداث لتكون له دعما قويا: " ما تقوم به أنت في الموسيقى عظيم وإلا ما الذي يدفع بك إلى الغوص في تاريخ جدك وأرضه الأولى لو لم يكن لديك ذلك الإحساس المرهف للقيام بشيء ما في صالح البشر.[1]

فكان المعرض سندا ودافعا للتوجه إلى الذاكرة الحية جده «شريف " الذي كان على علم بكل ذلك التاريخ.

4- كيف تجلى الحوار في رواية رماد الشرق لواسيني الأعرج؟

يعرف الحوار بأنه "حديث يدور بين إثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات وهو نمط تواصل: حيث يتبادل ويتعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي"، والملاحظة من الرواية المدروسة أن الأعرج ناوب بين السّرد والحوار هذا الأخير وظفه بكثرة خاصة حوار "جاز" مع "جده" ومع صديقته "ميترا"، وهذا ما سنلاحظه من خلال حوار "جاز" مع صديقته "ميترا".

- ميترا؟ تريدين أن نجرب مرة أخرى؟ المشكلة أن الوقت الذي بين أيدينا يتقلص كل يوم قليلا....
- لا يا جاز أنت تعرف أحسن مني، في الموسيقى لا توجد معاودة كل شيء نقوم به وكأننا نفعله لأول مرة.[2]
- أنت لم تحدثني عن هذا من قبل.
- أنتِ تعرفين أن قصة جدي في غاية التعقيد، مسكون بأندلسيته التي ورثتها له جدته.[3]
- يمثل الحوار في الرواية المدروسة امتداد وتكملة للسرد " فاستعانة السارد بالحوار تعني الكشف عن الشخصيات وإطلاع القارئ على أفكارها ومزاجها وطبائعها لأنه مرتبط بها، فضلا عن اسهامه في بنائها، وله دور مهم أيضا في بناء الحدث وتحريكه عن طريق الحوار المتبادل بين الشخصيات"،[4] فعن طريق الحوار إذن تتحقق وظيفتي التواصل والتعبير بين شخصيات المدونة المدروسة ولم يكن الحوار الخارجي في رواية "رماد الشرق" إلاّ وسيلة لكشف المآلات التي وصل إليها الوطن العربي، وفي المقابل بدا الروائي ساعياً لإيجاد التناسب في اللّغة والشخصيات المكتملة بها فكان الحوار في الغالب فصيحا يتخلله الأجنبي إضافة الى سيطرة العامية، وبهذا استطاع الحوار أن يقدم نوعا من الصراع بين الماضي والحاضر ولكنه صراع توفيقي يكتسب إيجابية عبر التفاعل الحواري بين الشخصيات.

تستوقفنا في هذه الرواية أكثر من محاورة جدلية ترى في العلاقة بين الأضداد قانونا يحكم سيرة المجتمع والتاريخ. ويثبت على نحو لافت أن تفاعل نظامين في الفهم ومختلفين ومتمايزين هو الوسيلة الأهم لخلق الحدث الروائي.

نبدأ بمحاورة جدلية تتعلق بالثمن الذي يمكن لصاحب القضية أن يدفعه، وهو ما نكون فيه إزاء مشهد مسرحي يوهمنا بطابع حواري، يترك فيه الكاتب عبر أكثر من شخصية من شخصياته حرية نسبية لكي تعبر عن رأيها الخاص في حرب يدفع الإنسان حياته ثمنا لها.

---

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 66.
[2] المصدر نفسه ، ص18.
[3] المصدر نفسه، ص105.
[4] فاتن غانم، **تداخل الفنون في الخطاب النسوي شعر بشرى البستاني** نموذجا، ط1، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015، ص175.

تساءل صفية عن إمكانية المطالبة بالحق والإلحاح على الحياة التي تعطى مرة واحدة وتنسحب بلا رجعة[1] ويتساءل شريف، كما تفعل مانيا عن جدوى تمثال يوضع بعد الموت ولا يغير في الحياة شيئا إن كانت الحياة أثمن مهما كانت الظروف، وإن كانت الرغبة الاستشهادية تخيف صفية، فهل يذهب الإنسان الى الموت إلاّ رغبة في العيش بكرامة؟

ما من شك أن صفية زوجها ومن بعده عم ابنها الذي ارتبطت به عاطفيا تحمل من المبررات ما يجعلها غير قادرة على تحمل ما تراه من تقديس للموت، بل ويدفعها للقول: "موتوا إذا شئتم ولكن اتركوا لي ابني".[2]

لكن يبقى من المفيد القول إن دلالات النص لا تكتمل إلاّ بوضع كل جوانبه في الاعتبار، فلا يجوز بحال من الأحوال أن ننطلق من جزئية معينة، سواء كانت جملا مقتبسة تتصدر بدايات كل فصل، أو أقوال إحدى الشخصيات، لنرى فيها تعبيرا عن رأي الكاتب وان فعلنا نكون قد اختزلنا دلالة النص وابعاد رؤية الكاتب في بنيات نصية دون أخرى والنص كل ولا تتجلى إنتاجية النص إلاّ كاملة، أي من خلال وحدة كل مكونات النّص وترابطها.

وهو ما يمكن ترجمته عبر إكبار لافت في الرواية لأبطال ماتوا موتاً شريفاً بما يعد ردًا على أفكار سبق ورودها على لسان أكثر من شخصية في الرواية، ومن هؤلاء الأبطال يوسف العظمة، وعبد القادر الحسيني، اللذين رفضا فكرة تسليم الوطن دون إطلاق أية رصاصة مع ادراكهما أن الجيش العربي لم يكن منظما ومالكا لأية قوة. ومن هذا المنطلق يصدح يوسف العظمة قبيل معركته مع الفرنسيين قائلا: «سنموت ولكن على الأقل لن يقال عنا إن دمشق سلمت ليلا بلا مقاومة»[3] يبرز هذا في وقت –كما قلنا- تردد أكثر من شخصية في الرواية أن لا شيء أثمن من الحياة، بما يبدو احتفاء كبيرا بفكرة البقاء. إلا أن مسارات الرواية جاءت لتبرهن أن الظلم وامتهان الكرامة يستدعيان موتا كريما، وأن ما يرد على لسان عز الدين أو غيره من حديث عن تفاهة الحروب أمر تنقضه الرواية في أكثر من موقف، فشريف في نهاية المطاف ينظم نهائيا الى المقاومة السرية، ونجده إثر إصابته في إحدى المواقع يوصي صاحبه بأن يقول لمانيا: "أن زوجك مات ميتة رجل والسلاح في يده وإنه مات من أجل فلسطين ولا شيء آخر غير هذه الأرض الطيبة التي كان يفترض أن تكون أكثر الأراضي تسامحا".[4]

بل نجد صفية رافضة الاقتران بعز الدين لمعرفتها خياره في الموت شامخا، ولم تكن تريد منعه لأنه لن يغفر لها ذلك، وهي لا تريد رجلا يندم على خياراته وهو أمر تحسمه نهايات عائلة الحسيني، إذ تختار مانيا الموت على أن تُغتصب، وكذلك تختار صفية الموت دفاعا عن زوجة ابنها.

من بين المحاورات الجدلية الهامة التي تطرحها الرواية، تبرز قضية المفاضلة بين الموالاة لفرنسا أو إنجلترا بما قدمت من مساعدات أو الموالاة لأتراك يعدون على الرغم من طغيانهم جزءا من الأمة الإسلامية أو الحكم بأن الكل استعمار مقنع سرعان ما يكشر عن أنيابه في الوقت المناسب.

كذلك يحضر جدل الموالاة لإنجلترا أو ألمانيا النازية على نحو محتدم في الرواية. فهل تبنت الرواية موقفا بعينه تجاه هذه الجدلية؟ أم أنها تركت الأمر مفتوحا يقرره القارئ؟

---

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 171.
[2] المصدر نفسه، ص173.
[3] المصدر نفسه، ص141.
[4] المصدر نفسه، ص142.

بدت ردود الفعل بشأن هذه الجدلية متناقضة، فعموم المقدسيين يتمنون الكسر للإنجليز والموت لعساكرهم الذين سلموهم للصهاينة. كما يتمنون انتصار ألماني لارتباط هذا النصر بنهاية الفكر الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني، ويبدو الارتباك واضحا مع العثمانيين أيضا ما بين حب لهم سببه الدين والنسب، أو حتى أثر حضاري كانوا قد تركوه في أكثر من بلد عربي، وما بين كره لهم سببه تحميلهم العرب تخلفًا وظلما لا يغتفر، عدا إيقاعهم في حروب وويلات كانوا في عنى عنها والرواية في لحظة صدق يعيشها أحد الممرضين مع شريف ترصد أخطاء فادحة تتالت بعد انتصار الثورة ضد الأتراك"... الذين ماتوا فيها أكثر من الذين ماتوا في السنوات التي سبقت ذلك، ولهذا أشعر دائما بأن هناك خطأ فادحًا ارتكب، دمر كل شيء، لورانس كان مجرمًا،[1] هو الذي أمر بدفن الكثير من الجرحى من الجنود الأتراك... كنا ننتظر أن يساعدنا للحصول على دواء ولكنه أعطى أمره للضباط الأسترالي... بدفن الأحياء مع الذين تفسخت جثثهم على مرآى من الجيش الأسترالي المرابط عند باب المستشفى. أكثر من خمسمائة ضموا الى حفرة وهم ما يزالون على قيد الحياة. جرائم شنعاء وكنت ممن رمى الجير على الكثير منهم وكدت أنضاف إليهم لو لم أصرخ بأعلى صوتي بأنني لست تركيا ولكني طبيب ممرض....[2]

أن كان الروائي قد فتح المجال واسعا لشخصياته كي تعبر عن رأيها الخاص، فإن هذا لا يلغي راويًا بدا مهيمنًا في قسم كبير من العمل، يعمل في الخفاء كي يوجه القارئ نحو مركز واحد للرؤية، مساهما في طمس معالم التوزيع المتكافئ للمواقف.

فما كان رأي (إبراهيم) خال شريف المغلف بتعليقات راوي كرر عبارات الثناء عليه ليحضر بعيدا عن قصدية الرواية نفسها. وهو رأي يميل الى جعل خطر النازية في الدرجة أشد وطأة من خطر الإستعمار، فالأولى وفقا لإبراهيم أيضا «تستهدف البشرية والكائن من حيث هو بشر بينما الاستعمار تقوده الأطماع ويمكن أن ينتفي وجوده بمجرد وعي الناس ومقاومتهم له أو حتى سقوط تلك الأطماع»[3]

ورأيناه في الوقت نفسه يستهجن مفاضلة عجيبة بين طغاة يقسمون البشر الى أقل من حيوانات تستحق الموت والإبادة لانحدارهم من عنصر خاص، وبين إنجليز سرقوا الأرض والشعب وسهلوا الغزو وتهيجرهم.

لكن الرواية تتنبه الى أن هذا التعالي الذي مارسه الألمان لا ينفصل عن حس التعالي الغربي الذي يمارسه الاستعمار على الشعوب التي يستعمرها[4] وعلى هذا يأتي منسجما مرة أخرى ورأى عبد الوهاب المسيري الثاقب في أن النازية جزء أصيل من الحضارة الغربية بل إن الرد الإسرائيلي على معسكرات الإبادة لليهود بإنشاء دولة صهيونية على جثث الفلسطينيين لا يختلف في سماته الجوهرية عن الجريمة النازية[5] بعض القضايا المطروحة في هذه الرواية من ذلك قضية الحق التاريخي لليهود في فلسطين. من البديهي القول إن إسرائيل هي دولة احتلال استعماري استيطاني، وهو أمر لا تنكره الرواية، بل وتؤكد عليه في أكثر من موقع، وهو أمر يغني حجج اليهود وادعاءاتهم بشأن وجودهم على هذه الأرض.

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص139.
[2] المصدر نفسه، ص140.
[3] المصدر نفسه، ص 142
[4] المصدر نفسه، ص38.
[5] المصدر نفسه، ص39

ونذكر هنا ما يرد في الرواية من أن اليهود حين تفتح أمامهم نافذة، فإنهم يسعون لتوسيعها الى باب حتى تصير ملكا لهم والأفظع من ذلك قول إبراهيم "... لليهود حق في هذه الأرض هم لم ينزلوا من السماء مثلما سكنوا هذه التربة منذ آلاف السنين، وتعذبوا فيها ودافعوا فيها عن حقهم في الوجود.[1]

أما إمكانية العيش مع اليهود فكانت أمرا واقعا عبر تاريخنا العربي الإسلامي وهو ما يؤكده أبو الشمائل أحد الشخوص الثانوية لشريف إذ يقول له: «اسأل جدك يقل لك كيف كانت العشرة بيننا وبين اليهود»[2]. لكن الهجرة لم تأتي ببشر ولكنها أتت بقتلة وجماعات لا شيء على لسانها إلا استعادة الأرض أو نهب أملاك الغير ما عجزت الوكالة اليهودية عن شرائه أخذوه بالقوة بسبب استيقاظ وحش العنصري في أكثر من مكان في العالم، وبفعل نهج إنساني يختطه واسيني الأعرج في كتاباته نجده وقد عمل جاهدا على إبراز صورة اليهودي الطيب بل إن حضور راشيل في الرواية جاء توسيعا لهذه الرؤية وفي ظني أن المساحة التي أعطيت لها كانت كبيرة مما تستدعي توقفا خاصا، فمن ظني أن المساحة التي أعطيت لها كانت كبيرة مما تستدعي توقفا خاصا فمن هي راشيل هذه؟ وكيف قدمت في الرواية؟

راشيل هي مهاجرة يهودية أنقذها شريف من الموت غرقا أثناء عبورها سرا الى فلسطين والكاتب يذكر هذه الهجرات وعلى دراية عميقة بمدلولها الخطير، إلاّ أنه وحرصا منه على تبييض صفحة راشيل بمجرد شعورها باحتقان الأجواء في فلسطين تقرر ترك فلسطين والعودة الى بولونيا وربما أمريكا، ويبدو حضور راشيل في الرواية قد ساهم في إحداث الصورة الحقيقة للإسلام ومبادئه الأساسية، ويظهر ذلك جليا حين قالت حائط المبكى وأراد شريف أن يقول بل حائط البراق تراجع، بسبب عفوية راشيل الطفولية الأولى.[3]

وحين تحدثت عن مجانين يتقاتلون على حجارة ميتة ثم انسحبوا مخلفين وراءهم الحروب والأحقاد الدائمة، تمنى أن يقول إن هناك حروبا ظالمةً، وأخرى عادلة، ولكنه لم يفعل. وجاء الحديث عن جدتها وارتباطها بفلسطين منذ زمن بعيد ليزيد الأمر تعقيدا.[4]

وتنتهي قصة راشيل في فلسطين لتكون ضحية اغتيال آثم ناجم عن عداء أعمى لليهودي. صحيح أن الرواية تستثمر قصة راشيل لتعميق فكرة اليهودي الطيب، وهو ما تكرر في الرواية عبر أكثر من شخصية يهودية على نحو ملح. ولكن يبدو لي أن علاقتها بشريف المحب لمانيا أساسا وادعاءها بأنها لن تأخذه منها على الرغم من أنها فعلت ما يشبه الى حد بعيد دعوى وجودها في أرض تدعي أنها وقعت في خطأ وهي لا تنوي الاستيلاء عليها ويبقى الأساس ما قاله جد شريف: كل من جاء الى هذه الأرض منهم وأقام فيها هو عدو مؤكد.[5]

1- الوصف في رواية رماد الشرق

وراء الوصف مسألة رئيسية في علم الجمال، وهي مسألة الاتصال بين المبدع والقارئ عبر الصورة الفنية أضف الى ذلك أن حضور وصف لمكان معين في الرواية يفرض علاقة بينه وبين الأشخاص الذين يحتضنهم. والروائي حينما يبدع في وصف المكان فإنه يمنحه خصوصية الخلق الفني ممهدا بذلك

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 354
[2] المصدر نفسه، ص354
[3] المصدر نفسه، ص355.
[4] المصدر نفسه، ص424.
[5] المصدر نفسه، ص425.

لاختراق الشخصية للمكان الذي تعيش أدوارها فيه، فيصبح المكان تعبيرا مجازيا وامتدادا لمن يكون فيه، فإذا وصفته وصفت الإنسان على حد تعبير ويليك.[1]

ويظهر الوصف جليا في رواية رماد الشرق من خلال المقاطع الآتية:

"بعد سنوات طوال يختار بابا شريف طوليدو مكانا يقضي فيه أيامه الأخيرة، وفيها يصنع الأجواء العبقة برائحة الياسمين القوية المختلطة برائحة الهيل والخشب القديم والعرعار".[2] ثم يواصل الروائي وصفه حينما يدخل بابا شريف الغرفة الشرقية لكيلا يشعر بنفسه وحيدا ولكيلا يختنق من المحيط ويقول لجاز: «... ملأته بعطر لا يملأ المكان فقط ولكنه يملأ جلودنا وذاكرتنا المتعبة، كلما اشتقت لتلك الأرض جلست واتكأت على الوسادة وشربت قهوتي التي أحضرها بيدي على هذا المجمر الذي لا يغادر هذا المكان».[3]

فقد يصف لنا تلذذه بهذه القهوة الأندلسية التي أصبح من السهل عليه وهو يرتشفها أن يجد نفسه في شوارع دمشق ودروبها القديمة، أو معابر بيروت المؤدية الى سجن عالية أو شارع المتنبي.ثم يغوص بابا شريف في صندوقه ذلك الصندوق الذي يفوح برائحته القوية وبغبار الكتب القديمة فيه ليكون وصفا لذاكرة المنطقة بكاملها بأحزانها وحرائقها.

تذكرنا العلاقة الجد بابا شريف ببيته بما يعرف بالبيت القديم، وما يحمله هذا الأخير من ايحاءات ورموز بيت الطفولة الذي ولدنا فيه وتشكل فيه خيالنا، وعندما نبتعد عنه نظل دائما نستعد ذكراه، ونسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية ذلك الإحساس بالحماية والأمن اللذين كان يوفرهما لنا البيت.

نعيش لحظات البيت من خلال الأدراج والصناديق والخزائن التي يسميها باشلار بيت الأشياء، وانطلاقا من تذكر بيت الطفولة تتخذ صفات وملامح المكان طابعا ذاتيا وينتفي بعده الهندسي.

ولا يغيب عن القارئ ما يعكسه خيار بابا شريف في السكن في طوليد ومن تعطش الى عالم الأندلس الضائعة الذي ورثته إياه جدته، فبابا شريف ما رسمه في مخيلته من إبداع جعله يحمل التراب والأشجار ويغرسها في ذلك المكان حتى يفوح عطرا وجمالا، ليعكس بذلك ما يختلج في نفسيته من مشاعر وأحاسيس، فقد أبدع الروائي في وصفه لذلك المكان، حيث أنه بقي يذكره بل ومسكونا به، بل ويشيب إليه بدافع ثقافة مدنية عظيمة أكثر من دافع الانتماء الى قومية، وهي الثقافة التي جمعت في عمقها كل الأديان وعرفت كيف تنسج المحبة بينها.

لقد أبدع الروائي واسيني الأعرج في توظيفه للوصف في روايته رماد الشرق فقد صوره في عده صور مختلفة وإبداعية نذكر منها على سبيل المثال:

6-أ- حركة المشاهد:

حرص الأعرج في سرد أحداث روايته، على رصد الحركات والأصوات ضمن مشهد حي يخاطب فينا حاستي السمع والبصر ويضفي على الحدث طابعا دراميًا أقرب الى دينامية السينما منه الى سكونية الأدب

[1] **كتاب مفاهيم نقدية، رينيه** –ويليك -ت.د محمد عصفور.
[2] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 132.
[3] المصدر نفسه، ص133.

مثل هذه المقاطع من الرواية:" بدأت الطرقات الواسعة تكتظ بالسيارات وسيارات الإسعاف التي كانت أصواتها تسمع وهي تأتي من أمكنة ليست بعيدة.[1]

وكذلك في: «بحركة آلية سحبت ميترا محفظتها وبحثت عن مفاتيح سيارة شيروكي x44، قبل أن تلحق بجاز الذي كان قد وقف عند مدخل الباب الخارجي ليطلب المصعد.[2]

6-ب- المشاهدة التفصيلية:

أو ما يعرف بتقريب الصورة (close-up) له نظائرة في القصة كالأوصاف الواقعية في أعمال الطبيعيين الفرنسيين، إذ اشتغل الأعرج على تقنيات التجريب البصري من خلال تقديمه للشخصيات عبر صورة مرئية لغوية ترصد أدق التفاصيل التي تنتاب الشخصية حتى غدت الرواية عند الأعرج كتابة بالصورة (كالسينما).[3]

إذ صار القارئ لهذه الرواية يشعر بأنه أمام عدسة كاميرا لا تفلت شيئا من تفاصيل الصورة والصوت والديكور، كما نلاحظ في هذه المقاطع: «جلست عائشة في الكرسي الخلفي للسيارة، بينما استراح بابا شريف بجانب جاز وهو يقفل حزام الأمان»[4]

وأيضا: «عندما التفت الى ميترا كانت شبه غارقة في تأملاتها، تحتضن من جديد الكمان، كان شعرها يتلألأ تحت ألوان الشمس الصباحية...»[5]

6-ج- الرسم: تعج الرواية المدروسة بلوحات فنية سردية رسمت بالكلمات إن صح التعبير إذ نوحي إليك هذه الكلمات المنتقاة بعناية أن اللوحة التشكيلية مطروحة أمامك وكأنك تراها على صورتها الواقعية ويتجلى ذلك في عدة مقاطع من الرواية إذ اكتفينا للاستشهاد بثلاث لوحات وهي:

-اللوحة الأول: "رأى صورة بلون حائل بين الصفرة العميقة واللون الرمادي الباهت، كتب تحتها فلسطين 15 مايو 1948 طفلة تركض في فراغ غير محدود شعرها المبعثر ينتثر في الهواء ويختبئ قليلا من ابتسامتها في يدها لعبة صغيرة لم تظهر في الصورة إلا الخيوط التي تقبضها.[6]

-اللوحة الثانية: "ثم وقف لحظة مع ميترا يتأملان الأضواء الملونة التي كانت تعلن عن سمفونية رماد الشرق لربيع نيويورك الموسيقي...».[7]

-اللوحة الثالثة: " وضعت في كل المعابر والمحطات والمطارات وأنفاق الميترو في نيويورك نفس اللوحة الإشهارية، بعنوانها الكبير: سيمفونية رماد الشرق للموسيقي جاز كاليفي. وتحت كتب بخط ناعم: خريف المائة عام الأخيرة، سنوات التيه والانكسار والبحث المحموم عن الشرق المسروق".[8]

---

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق ، ص20.
[2] المصدر نفسه ، ص 25.
[3] حسن لشكر، الرواية العربية والفنون السمعية البصرية، كتاب المجلة العربية، ع38، 2019، ص33.
[4] **واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص** 380.
[5] **المصدر نفسه**، ص18.
[6] المصدر نفسه، ص68.
[7] المصدر نفسه، ص352.
[8] المصدر نفسه، ص352.

فقد مارس الأعرج هنا ما يعرف بالرسم بالكلمات شأنه في هذا شأن كتاب الرواية العربية الجديدة الذين يمارسون الرسم بالكلمات مستخدمين الجانب التقني للوحة.

إذن إن رواية رماد الشرق تمثل نموذجا لتلاقح فنيين وتشابك آلياتهما: الرسم بالكلمات والرسم بالفرشاة، فثقافة الكاتب التشكيلية مكنته من ملامسة جمالية هذا التلاقح.

ـد ـ فن التصوير:

وهو أحد أهم الفنون الجميلة الحديثة، والتي تتمثل في التقاط لحظات معينة تشمل مناظر وظواهر طبيعية أو بشر أو حيوانات، إذ يستخدم المصور كاميرته لإلتقاط وتجسيد لحظات جميلة يعيشها، وبطريقة فنية، إذا استثمر الأعرج تقنيا ت هذا الفن وتتمثل في استعماله لتقنية الصورة من خلال عرض بابا شريف لعدد من الصور الفوتوغرافية كانت بحوزته لحفيده جاز منها: أخرج صورة كانت لأمه: ماما صفية: امرأة جميلة ترتسم على محياها ابتسامة ساخرة كان من الصعب عليها كتمها ووجهها مشرق كوجه الروسيات شرق آسيا. شعر كثيف وملامح واضحة ودقيقة وعينان غارقتان في الكحل والسواد.[1]

وأيضا صورة أخرى لـ '' جمع من البشر يتقدمهم رجل بشاربين طويلين وطربوش وعصا يتكئ عليها بيسراه وفي يده الأخر بقايا سيجارة، وفي الخلفية رجال أشبه بالروس القوقازيين، الى جانبهم الأيمن رجل انجليزي بقبعة طويلة، ولباسه القصير وحذائه الطويل وآخر في الخلفية يستند الى بندقية ذات ماسورة طويلة، في الخلفية بعيدة قليلا يرفرف علم أبيض..."[2]

فقد أحسن الكاتب تمثل هذه التقنية بحيث أنه نقل للمتلقي الصور بلغة فنية جميلة وكأنه يشاهد الصور حقيقة أمام عينيه.
إن ما يقوم به السارد من محاولة سرد التاريخ ليس إلا حفرا في الذاكرة. وتأكيد على حضورها، وبذلك جعلت رواية "رماد الشرق" الفكر يتشكل في إطار تاريخي جدلي مع الواقع الفعلي المعيشي.

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 16.
[2] المصدر نفسه، ص18-19.

الفصل الثالث

تمثلات الظاهرة على المستوى الدلالي

1- على مستوى الواقع الراهن
2- على المستوى الواقع التاريخي
3- أزمة الهوية والصراع بين الأنا والآخر
4- دور الصحافة والإعلام
5- المشروع

تمثلات ظاهرة الإسلاموفوبيا على المستوى الدلالي

1- على مستوى الواقع الراهن:

بني السرد في رواية "رماد الشرق" على خلفية سياسية مليئة بالأحداث، فعندما نقرأ الرواية من العنوان نكشف أن كلمة الرماد مشحونة بدلالات عديدة، تدل في مضمونها على معنى الخراب والدمار والفناء الذي حل بالشرق العربي ويرجع هذا الى الوضع السياسي غير مستقر السّائد في تلك الحقبة.

لم يبدأ "واسيني" روايته بالولوج الى باب الماضي البعيد أولا بل كانت له إلتفاتة نحو الماضي القريب وما يجري فيه من أحداث، لينطلق من أحداث انفجار البرجين في أمريكا في قوله: «كانت ضربة عنيفة وكأنها وقعت داخل البيت... كان البرج الشمالي يشتعل وأدخنته تتصاعد عاليا لتتحول فجأة الى فرن حال لمصنع قديم... الانفجار جاء من مانهاتن، انظري الأدخنة الكثيفة وألسنة النّار التي تتصاعد من المركز التجاري... غيرت الطائرة التي كانت تعبر سماء نيويورك مسارها فوق منهاتن بنصف دورة واتجهت مباشرة صوب البرج الجنوبي بسرعة جنونية... لتخترقه بعنف ويخرج الحطام الملتهب من الجهّة المقابلة، اشتعلت النيران التي اصفرت ثم احمرت ثم اسودت في النصف العلوي من البرج وصعدت ألسنتها عاليا»[1]

وهي هجمات شهدتها الولايات المتحدة في 11 سبتمبر سنة 2011، تمثلت في أربعة طائرات، اثنان اصطدما بالبرجين الشمالي والجنوبي والباقي واحدة اصطدمت بمبنى البنتاغون والأخرى أسقطت قبل وصولها الى الهدف المنشود، خلفت هذه الهجمات ضحايا وجرحى وأثارا جسيمة، وقد صورها في قوله: «كيف انهار البرجان التوأمان مثل لعبة كرتونية؟ ثم كيف احترقا وتحولا الى كومة من الرّماد والغبار الى حجارة وحديد متراكم في فوضى تشبه القيامة أو مرور عاصفة هوجاء»[2]

وقد صور واسيني هذا الحدث بشكل دقيق وكان الغرض منه تسليط الضوء على بقايا الإنسانية، وهذا الحدث كان نافذة لدخول التاريخ، فما خلفه انفجار البرجين من هول وخوف ورعب في نفوس الناس ومن عنصرية هو الذي دافع بـ "جاز" الى البحث عن هويته.

قد كان لهذا الحدث اسهام كبير في تسلسل بقية الأحداث وفي الكشف عن جانب من جوانب الشخصية فلولا انفجار البرجين لما انطلق "جاز" في رحلة البحث عن هويته المفقودة الى نبذ كل أنواع الظلم والقهر والعنصرية، فقد خلفت هذه الحادثة خسائر مادية وبشرية كبيرة، كما كشفت عن نوع من العلاقة التي تربط بين الأنا والآخر، وفي الرواية لم يوجه "واسيني" أصبع الاتهام الى أحد، وإنما كان يعالج الوضع بموضوعية بعيدا عن المخالطات وكانت البداية أو التصوير من طائرتي لركاب انحرفت عن مساريهما

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 19-20.
[2] المصدر نفسه، ص26.

لتصطدما بالبرجين وتخلف انفجارا كبيرا تأثرت به جميع ضواحي المدينة «اصطدمت طائرتان منهما الخطوط الجوية الأمريكية الرحلة 11 والخطوط الجوية المتحدة الرحلة 175 بالبرجين الشمالي والجنوبي على التوالي ... تسبب الحطام والحرائق الناتجة عن ذلك انهيار جزئي أو كامل لجميع المباني الأخرى».[1]

كل هذه المشاهدة تبرر عدم استقرار الدول العربية، ودخول أهلها في حرب مهلكة لتشويه صورتها من طرف الآخر وطمس عقيدتها فنجد مشاهد القتل والتشريد والتجنيد الاجباري والإعدام، فنخلص الى أن الوطن هو شرف الأمة ويجب الحفاظ على الشرف وإن كلف ذلك أرواحهم ثمنا له.

- **من المشاهد التي قدمتها الرواية:**

نذكر مشهد الحرب والدمار «نظام يبني على الجريمة –مآله الموت -المجرم عندما يقتل في المرة الأولى ولا يردع يواصل، لقد أعدم الجنرال نور الدين باشا القائد العام للقوات التركية فيما بين النهرين وفي بغداد 1055 شابا من أحرار العراق عدا الذين قضوا شنقا وماتوا في الصحاري...»[2]

يكشف الروائي من خلال هذا المشهد نظام الحكم السياسي الفاسد، الذي بنت عليه الدولة سياستها، ما أدى الى خلخلة نظامها، وعدم السيطرة على أطرافها، والذي مكن للمستعمر الدخول وأفسح له الطريق ليجد حريته الكاملة في البلاد العربية «عينت الحكومة البريطانية السيرمارك سايكس المعروف بدايته بالمسائل الشرقية وعينت الحكومة الفرنسية جورج بيكو قنصل فرنسا قبل الحرب مندوبين عنهما كي يقوما بمباحثات غايتها الاتفاق على نصيب كل منهما ضمن نطاق الاتفاقية الثلاثية الكبرى... قسموا بلاد الشام بالمسطرة... احتفظت فرنسا لمساحة كبيرة من أراضي الأناضول الجنوبية والجزء الشمالي من سوريا الطبيعية وحلب واحتفظت بريطاني لنفسها بولايتي البصرة وبغداد وكركوك بالإضافة الى الجزء الجنوبي من سوريا الطبيعية... واتفقت الدولتان على جعل فلسطين باستثناء صحراء النقب منطقة تخضع لحكم دولي خاص»[3] يعكس هذا المقطع مظهر القمع ، والنهب و سلب الممتلكات و الأراضي و تقسيمها لصالح المستعمرات ، مما توحي ببداية الحرب . برع الروائي واسيني الأعرج في تشخيص وتصوير الواقع السياسي للشرق العربي ابان الحروب التي سلطت عليه.

من القضايا الاجتماعية المتناولة في الرواية نذكر: القضية الإنسانية والتي تحققت من خلال استجابة جاز لنداء الاستغاثة في الراديو بعد حادث البرجين: «المستشفى سيغرق بالجرحى بعد قليل، أعرف أنك في عالم آخر غير عالم الأدوية ولكني أعرف كذلك جديتك وحبك للناس وأنا الآن بصدد الاتصال

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 21.
[2] المصدر نفسه، ص151.
[3] المصدر نفسه، ص232.

بالأصدقاء وطلبتي القدامى للإلتحاق بالمستشفى الذي انتموا إليه لمساعدة الجرحى الأمر خطير يا جاز وأنا أحتاج إلى مجهودك وتفهمك الأمور ما تزال غامضة هنا ستساعدني كثيرا»[1]

ومن خلال هذه المكالمة التي أجراها "مارك أنطوني" الجراح لجاز، لب النداء مسرعا مع ميترا، ويعود هذا النوع من الفعل الى البعد الإنساني في الشخصية المحبة للخير وإلى تقديم المساعدة للمحتاجين، تجلت الإنسانية في شخصية الشريف عندما كان صغيرا إبان الحرب: «انهمكت في تنظيف الجروح الأوائل وتقليد لطفه المعهود تجاه الجرحى في الكثير من الحالات الصعبة، كان لا يتوانى عن قطع الرجل أو تخيط اللحم على الحي يعطي قطعة مطاط للجريح، يضعها هذا الأخير بين أسنانه...»[2]

بعد التحاقه بالمقاومة تعرف على شيخ كان يعمل ممرضا، فقام بمساعدته في إنقاذ الجرحى من الموت، وكما اضطر في بعض الأحيان الى مساعدة الموتى أيضا. «يضطر بعض الأطباء الى ترقيع الجسد قبل وضعه في الكفن ودفنه بالقرب من الوادي»[3] فلم تقتصر الإنسانية فقط في مساعدة الأحياء بل الموتى أيضا، عن طريق دفنهم إكراما لهم، هذا لا ينفي غياب الإنسانية بل تجلت في الأفعال الشنيعة التي كان يمارسها لورنس المجرم. «عندما زارنا في المستشفى كنت أنتظر أن يساعدنا للحصول على دواء ولكنه أعطى أمره للضابط الأسترالي كركبيد بدفن الأحياء مع الذين تفسخت جثثهم على مرأى من الجيش الأسترالي المرابط عند باب المستشفى أكثر من خمسمائة ضموا إلى الحفرة وهم على قيد الحياة، جرائم شنعاء وكنت ممن رمي الجير على الكثير منهم....»[4] فلكي يتخلص لورانس من هؤلاء الجرحى ومن تعفنهم ومن الأوبئة التي كانت منتشرة أمر بحفر «حفرة عميقة وطويلة في شكل واد لكنهم اصطدموا بحاجز اسمنتي منعهم من التمدد طولا أكثر... ثم جيء بـ 52 جثة و200 أخرى .... وضعت الأجساد التي كان بها نفس صغيرة من الحياة فوق بعضها البعض وردمت وهي تحاول عبثا أن تصرخ بعض الجثث عندما رمي التراب أخرجت يدا أو رجلا نكاية وسخرية من الموت»[5]

ينعكس مثل هذا الطبع على انعدام الإنسانية في نفسية لورانس، في حين تعكس أنانيته وجهله وحيوانيته، فمقابل إظهار عظمته وجلاءه يدفع بروح الأبرياء الى التهلكة والموت.

تعرف العنصرية بأنها التمييز بين الناس على أساس الدين أو العرق أو اللون أو النسب... إلخ، والتي تخلق نوعا من الظلم والكراهية والنقمة والعنصرية هي إحدى القضايا الاجتماعية المتجلية في الرواية وردت في قوله: «الشعب بكامله طرد من أرضه والكثير من الناس ما يزالون أحياء وبإمكانهم ان يشهدوا

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 24.
[2] المصدر نفسه، ص451.
[3] المصدر نفسه، ص453.
[4] المصدر نفسه، ص453.
[5] المصدر نفسه، ص453.

في صالح الحق المسروق»،[1] فبين لنا أن مظاهر القمع كانت واضحة المعالم في المجتمع الشرقي فلقد تناول الروائي قضية التهجير والطرد من الأرض في كثير من المواضع مثل ما ورد في: « كانت المدينة غاصة باللاجئين العرب من المنكوبين الذين أحرقت دورهم في حي المنشية في بدء الإضرابات»[2]

فانتشار مثل هذا السلوكات كانت نتيجة اختلاط الأجناس والأعراق المختلفة، ويعود أيضا الى غياب الرقابة والأمن وغياب الحكم.

إلى جانب ذلك تنتشر ظاهرة الخيانة بشكل طاغ، لتتحول من مجرد انحراف أخلاقي وسلوكي الى مبدأ يسير به الأغلبية لصالح الأجانب على حساب شعوبهم وأوطانهم وورد في ذلك: «الأمير سعيد يعمل لصالح جمال باشا؟ يا عيب الشوم هذه تسمى في عزف المغاربة خيانة... مجرم... وسخ... طاغية وقواد الألمان»[3] يعكس هذا المقطع شعور العرب بالدونية التي وصل إليها المجتمع ليرد في موضع آخر «ماذا تريد أن أفعل يا عز الدين... بأي شكل أتصرف أمام من سجنونا وشردوا آباءنا وفعلوا بنا أسوأ مما فعله سادتهم الانجليز أو الفرنسيين في الحكم وحدهم، كنت حملت بندقيتي وذهبت نحوهم ولكن عندما يقتلك من هم من دمك ماذا تريدني أن أفعل سوى الإحساس بالقهر والضعف»[4]

فالخيانة تعني دعم العدو ويعتبر هذا في الحقيقة اعتداء مباشر، كما أن المخاتلة والنفاق ساهمتا في خلق الغدر والاغتيال، وهي من المظاهر الكثيرة الانتشار خاصة في مجتمع ذو سياسة مذبذبة تغمره الحرب والدمار... إلخ.

إن الغوص في عمق العمل الروائي "رماد الشرق" يكشف لنا أن الروائي واسيني الأعرج، أولى الموسيقى اهتماما ظاهرا تجلى ذلك من خلال توظيفه للثقافة الفنية (الموسيقى والأناشيد) في البناء السردي، حيث جاء في قوله: «أخطاء صغيرة لضبط الكمان، ربما أسرعت كثيرا أو تباطأت في هذا الموقع أو ذلك ليس أكثر ما نحس به تجاه جدك يعنيني وإلا ما دخلت معك في هذا المشروع ستنتهي من إنجاز هذا المقطع من السيمفونية وسنكون قريبتين من أنين جدك الى اقصى حد. أنا متأكد من ذلك»[5]

لقد استدرج الروائي في نصه الإبداعي موسيقى السيمفونية، ليعبر بها عن فترة تاريخية فترة الحرب العالمية الثانية -التي مرت على شخصية شريف جد "جاز"، والتي خلفت في نفسيته جروحا عميقة تكبدت في قلبه طوال حياته، استغلها "جاز" ليعبر بها عن أنين جده الحزين، وهي موسيقى عالمية غربية تعبر الألم والأمل، فقد أراد "جاز" أن يعبر عن أنين جده من خلالها، لأنها تثير النفوس وتحرك المشاعر وفي

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 30.
[2] المصدر نفسه، ص107.
[3] المصدر نفسه، ص201.
[4] المصدر نفسه، ص434.
[5] المصدر نفسه، ص10.

نفس الوقت تنقل إحساس جده الى المجتمعات الإنسانية الأخرى. ويرجع هذا التوظيف إلى ثقافة الروائي الواعية الواسعة، مكنته من توظيفها ضمن أعماله بامتياز.

1- على مستوى الواقع التاريخي:

بعد انفجار البرجين وما خلفه من نفسية البطل "جاز" والذي دفعه الى طرح العديد من التساؤلات من أنا، ومن هويتي، بدأ "جاز" رحلة البحث وكانت البداية من التساؤلات والتلميحات التي تركتها والدته "مايا" والتي كانت هي نفسها تعاني نفس المشكلة، لكن الدليل الوحيد للبحث عن هويته هو ذاكرة جده "شريف".

2-أ- فترة الحكم العثماني:

كانت بداية الأحداث التاريخية في الرواية من فترة الحكم العثماني والوصاية على البلاد العربية أول حدث تاريخي هو "المشنقة" وقد خصص لها واسيني الأعرج جزء من الرواية بعنوان "مشانق عالية" حيث أنها سبب في تضخم الأحداث والتحرك في مسار الثورة ضد الحكم العثماني.

إن الظلم الذي مارسه جمال باشا على البلاد العربية هو الذي ولد الضغط والانفجار والتمرد، فكل من كان يعارض الحكم كان يعاقب أشد العقوبات وهذه السياسة هي التي نفعت بالتمرد والانقلابات «كل من دخل سجن جمال باشا فهو في عداد الموتى، ستسألني عن جمال باشا لابد أنك سمعت به على الأقل، طاغية صغير حكم بأن يكون قائد للجيش الرابع في الحرب العالمية الأولى ولكنه هزم في حرب السويس (...) كان هو سيد بلاد الشام التي أغرقها بالدم والمشانق»[1] بعد حادثة الإعدام والتي امتدت لعدة أيام وعده إطارات في الدولة حيث طالت يدها عائلة الأمير عبد القادر الجزائري التي كانت تقطن في حي المغاربة والذي كان السبب في حالة من الفوضى والتمرد في أوساط المغاربة ومن هنا تبدأ أحداث بالتدرج والتطور.

2-ب- فترة الثورة العربية في الشام:

بعد الظلم والتحرر الذي مارسه "جمال باشا" على البلاد العربية نهضت حركة مضادة له والتي تريد الخروج من إمارته وإمارة الخلافة العثمانية وتوحيد البلاد العربية تحت لواء رجل عربي الأصل وليس تركي، وكانت هذه النهضة تحت قيادة " الشريف الحسين" والذي سلمها فيما بعد "للأمير فيصل" والذي كان يحلم برفع علم جديد على البلاد العربية، لم تكن الحركة من فراغ وإنما كانت مدعومة من طرف أيادي أجنبية أخرى خاصة من طرف بريطانيا عن طريق الجاسوس الذي دسته في قصر الملك فيصل وهو "لورانس" «ثم ساعده على الالتحاق بفيصل ولورنس في الأراضي الحجازية لتحريرها من الأتراك،

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 144.

فحلمه الوحيد كان هو أن يرى جمال باشا يتدلى على أعواد المشانق»[1] بعد ذلك انظم الى الثورة العديد من البلدان العربية وبايعها العديد من الشخصيات الفعالة من بينهم الأمير عبد القادر الصغير الذي تمرد على الحكم العثماني والذي كان رافضا له منذ البداية فقد اتجه الى الحجاز للمبايعة واتبعه في ذلك العديد من الرجال المغاربة.

بعد شيوع صدى الثورة العربية وتقدم قوات " الأمير فيصل" وانسحاب القوات العثمانية من بعض الدول العربية بمساعدة بريطانيا، بدأت الموازين في الانقلاب وبظهور قوى جديدة وتقسيم ومخططات جديدة «منذ هذه اللحظة بالذات بدأ في تطبيق الاتفاقية المسطرة وتقسيم الأرض التي كان ذنبها الوحيد أنها واسعة جدا»[2] وبعد الضغوطات التي تعرض لها "الأمير فيصل" فشلت الثورة العربية وسقط الحكم العثماني والرابح الوحيد هو بريطانيا وفرنسا.

2-ج- اتفاقية سايكس بيكو:

بعد فشل الثورة العربية والخسائر التي لحقت للأمير فيصل وكذلك الدولة العثمانية اغتنم البريطانيون الفرصة وقاموا بإبرام اتفاقية "سايكس بيكو" وبعد توالي الأحداث تم التفطن لاتفاقية وسربت الى الصحافة حيث نشرت في الجرائد «فقد عنيت الحكومة البريطانية السيد مارك سايكس (...) وعنيت الحكومة الفرنسية جورج بيكو (...) مندوبين عنهما كي يقوم بمباحثات غايتها الاتفاق على نصيب كل منهما ضمن نطاق الاتفاقية الثلاثية الكبرى وتوصل المندوبان على اتفاق صادقت عليه حكومتهما في شهر مايو 1916 وسيدنا الشريف حسين نائم على أذنيه مثل العجل البحري»[3] وقد كان الغرض من العودة لهذه الاتفاقية هو إعادة رسم لوحة للحاضر بما يكمل الماضي فـ "واسيني" عند رجوعه إلى هذه الاتفاقية لم يكن عبثا وإنما لها دلالة ومغزى.

أراد "واسيني" الرجوع للماضي وللجذور الأولى لبداية التقسيم الى غاية تسليم فلسطين واعتبارها خط أحمر لا هي محمية فرنسية ولا بريطانية للدلالة على الأحداث الراهنة.

2-د- الربيع العربي:

إن الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية نتاج عمل مدير تقوده الامبريالية الغربية في الوطن العربي، لتعيش الشعوب العربية ويلات الفقر والظلم والاستبداد، فكلما اشتدت الأزمة كلما انفجر الوضع الاجتماعي...، فأغلقت المصانع وسرح العمال، وانهارت العملات العربية، وانهار معها سعر البترول والغاز أهم مورد لحياتها، فاختنقت الشعوب وراحت تبعث لاهثة عن مخرج لما تعيشه،

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 209.
[2] المصدر نفسه، ص 210
[3] المصدر نفسه، ص232.

فكان الربيع العربي الذي تبنته قوى الامبريالية وزرعته في أوساط الشعوب العربية بحجة الحرية والبحث عن الحياة الكريمة، وبحجة عجز الأنظمة ولابد من تغييرها، فعمت الفوضى، والسرقات والتعديات على حرية وأملاك الآخرين، وكثرت الانتحارات. كل هذا والإعلام الغربي يؤدي في رسالة المتمثلة في النشر والاشهار والتهويل، وزعزعة الاستقرار والأمن، وبعث الفتن ما ظهر منها وما بطن، لتفسح المجال للاستعمار المعاصر تحت غطاء حماية الشعوب والأقليات وهذا ما حدث في ليبيا، وتونس، والعراق والسودان... وأحضرت الترسانات العسكرية، وكان الشعب العربي هو الضحية، ينقاد وراء الإعلام ووراء الصيحات المشبوهة دون وعي، بينما الحقد الصليبي يسعى لتهديم البنى التحتية، ونهب خيرات البلاد بإدارة مصادر الثورة لدينا، وبحثا عن انتخابات حرة ونزيهة لتعيين موالين لها. وهذا ما يذكرنا بالتاريخ ودور لورانس العرب لتمكين أمير فيصل من تشكيل حكومة عربية مستقلة، لتجد بعض حكومات الربيع العربي اليوم نفسها في تبعية سياسية واقتصادية مشروطة، حيث ازداد فقر شعوبها ومجاعتهم، وحاجتهم للعمل، وازداد تقتيلهم يوميا بوجود ميليشيات يصعب ضبطها والتحكم فيها.[1]

إزدادت صيحات الربيع العربي بغية شمولها لباقي البلدان العربية، وتقسيمها من جديد مثلما حدث في اتفاقية "سايس بيكو" لكن الذين تفطنوا لهذه المعضلة التاريخية تداركوا الأمر، فقد كانت قراءتهم للأحداث إيجابية ورؤيتهم للترسانات الحربية تملأ البحر، والطائرات تتابع الوضع، وبعض القادة العرب يقتادون، يهانون ويقتلون، ويمثل بجثثهم، كل هذا المشهد الدرامي المأساوي حفز الفكر، وألهم الشعور إنه درس لا ينسى وطريق محفوف بالمخاطر والضياع، وأبواق الباطل والحقد الدفين تسعى من جديد للتواجد على راضي الأمة العربي. لتجلس على الجثث وتتمتع بمشهد الموت البطيء.

إنه الدرس الصعب والإنجاز الفضيع الذي يجب ألا ينسى، وقيمة الأوطان غالية والنفوس الأبية ترفض كل معتد وكل أفكار ولو سفت التراب. أن تعيش في وطنك آمنا مطمئنا خير لك من امتلاك الدنيا وما فيها.

فات الأوان لكن الشعوب العربية حفظت الدرس وأدركت أن العدو واحد، ولكن أساليب تغليطه للآخرين كثيرة ومتنوعة والثقة لا تتأتى لأي كان، والفتنة نائمة ومن ايقضها كان طعما لها.

1- **أزمة الهوية والصراع بين الأنا والآخر:** وتتمثل في:

3-أ- ظاهرة الإسلاموفوبيا وعلاقتها بالهوية:

كان لأحداث سبتمبر تأثيرا كبيرا على الضمير العربي، مما أجهد الفكر والابداع، لذلك ازداد طرح إشكالية الذات والأنا والآخر في الروية العربية لأن الذات حسب ريكور "يجب أن تفهم على أنها ذاك السيل المتدفق المتجدد والذي لا ينضب ولا يعرف التوقف والتي تظل مشروعا يتأسس باستمرار

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 12.

ضمن أبعاد ثلاثة: علاقة الذات بذاتها، وعلاقتها بالعالم الخارجي، وأخيرا علاقة الذات بالآخر"، فالذات لا تتحقق إلا عبر انخراط واشتباك حقيقي مع الجماعة.

«لقد زاد حرص الذات العربية على تأكيد هويتها والدفاع عنها في مواجهة تهمة الإرهاب التي ألحقها الآخر الغربي بها بعد أن شاع لديه "الإسلام فوبيا"، فاستمرار في اختزال (الأنا) العربية في صورة نمطية مشوهة ومن هنا تأتي أهمية دراسة صوت الأنا في مواجهة صوت الآخر في الرواية، لأن فن الرواية من أكثر الفنون قدرة على تجسيد إشكالية الأنا والآخر، إذ تتيح الفرصة لصوت "الأنا" للتعبير عن هواجسه وآلامه وأفكاره، فتنطق في نقد الذات والآخر معا".

بدأ سؤال الهوية يؤرق الإنسان العربي عند اتصاله بالآخر (الغرب)، الذي شهد تطورا ونهضة جعلته يهدد كيانه بحركات استعمارية حاقدة ظالمة ، والإنسان لا يشعر بوجوده وهويته إلا في وجود الآخر وتهديده له، فيركن الى أصله ويتشبث به، ويسعى جاهدا للحفاظ عليه، هذا الشعور الذي يمده بالقوة والتميز كلما احتد الصراع، ولكن هل يمكن أن تتشكل الهوية بمعزل عن الآخر، فالمرء حين يحس بخطر يداهمه يرتكز على شيء في داخله يمده الإحساس بالأمان والثقة للمواجهة، ومنه تتشكل الهوية في أعماق الذات عبر مكونات تتعلق بالجنس والعمر وطبيعة المجتمع والموروث الثقافي.

«الهوية هي ما يصمد من الإنسان عبر الزمن، إذ تلازمه مكونة شخصيته ومحددة معالمه، فلا يكون مسخا للآخرين، فالهوية تحقق شعورا غريزيا بالإنتماء الى الجماعة، لذا لا نستطيع فصل " الأنا" عن "نحن" وبتعبير آخر هي تصورنا حول من نحن ومن الاخرون، وكذلك الاخرون حول أنفسهم وحول الاخرين، فالهوية شيء قابل للنقاش وتأتي إثر عمليات التفاعل الإنساني، كما أنها مكمل للحياة الاجتماعية. وبقدر تعلق الأمر بالسرد العربي، فلعل البحث عن هوية مرنة وجامعة يقبع وراء الإنصاف الى الكتابة التاريخية، التي تمنح حيزا أوسع في حرية القول والحركة والقد»[1]

لقد سعت رواية "رماد الشرق" الى تبيان رغبة الإنسان العربي فهم الآخر الذي تسلط عليه قرونا من احتلال عثماني ثم بريطاني وفرنسي، تم الاحتلال الصهيوني، وأخيرا الأمبريالية الأمريكية ويظهر ذلك جليا من خلال الصفحات الأولى والاستهلال في الرواية: «ميترا جدي يستحق أكثر من هذا ... لقد أحرق عمره وهو يبحث عن مسالكه المستحيلة داخل وضع معقد اسمه المسألة الشرقية عندما كانت الدول

[1] بن أحمد نعيم، **تحولات الرواية من السرد الى الثقافي مقاربة لرواية ''رماد الشرق'' لواسيني الأعرج**، مجلة المعيار، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، المجلد 14، العدد 1، 01 جوان 2023، ص177.

العظمى تبحث عن بوابات داخل البحار، كان هو يحاول عبثا أن يتشبث بسواحله ويلتصق بتربته ومائة الذي سرق منه"[1].

طرحت الرواية النظرة الاستعلائية للثقافة الغربية، فهي ثقافة عظمى تستحوذ على المركز، أما ثقافات الشعوب الأخرى كالعرب والهند فتتواجد على الهامش وعلى الأطراف، ومن هنا تبدأ عملية التثاقف ، وتشويه للثقافة الصغرى، أي تشويه وتدمير الهوية القومية للمجتمعات الأخرى، لذا ذكرت رواية "رماد الشرق" المركزية الغربية بثقافتها الهجينة والتي لا يمكن مقارنتها بثقافة الشرق العربي المتأصلة كما ورد على لسان شخصية فيليب غلاس هل يوجد في هذه البلاد رجل أمريكي جاء من عدم أو من لا شيء؟ كلهم جاءوا من آفاق متعددة من الشرق من إيطاليا، اسبانيا، إيرلندا، هولندا، كولومبيا، برتوريكو، وروس لتيل أوديسة ويوناني كوينز، ويهود أوروبا الوسطى وبلدان أخرى؟ كيف يمكن فهم هذه الحالة من الجنون والقسوة المجانية.

كما أن المستعمر عمل على مسخ الهوية، والمقصود بالهوية الفردية والاجتماعية على حد سواء للشعوب المستعمرة، وكذا اقتلاع خصوصيتها، وهذا ما يجليه حوار جاز مع الممرضة: "ضربوا جدي على يده وقالوا له انتظر، هذه الأرض ليست لك وابتدعوا لها اسما اختزلوه بسرعة: ويطا (OETA) ومزقوا أرضه بالمسطرة خطان، أحمر وأزرق كانا كافيين لإعادة صياغة الجغرافيا والتاريخ ومصير بشر المنطقة.

في مارس 1916 في اتون الحرب العالمية الأولى، عندما كان السكان الأصليون يموتون كان أصدقائهم الانجليز والفرنسيون والروس يوقعون اتفاقات تقسيم التركة التركية ويرفعون الأنخاب قد لا تعني لك كل هذه الأسماء التي ذكرتها الشيء الكثير كما كنت أنا كذلك، ولكنها كانت جغرافيا آهلة ببشر طيبين متعطشين للحرية وللحب، فجأة وجد كريستوف كولومبس الجديد نفسه هو سيد الأرض بينما وضع السكان الأصليين بين كماشتي الموت والمنافي التي لا تنتهي، لا تشغلي بالك سيدة مونيكا لكل عصر كولومبس وظيفته السمو الحضاري بالرعية المتخلفة بإبادتها وسرقة خيراتها وتعطيل مستقبلها؟ في العالم شيء يسير بالمقلوب سيتحول مع الزمن الى قنبلة موقوتة، أو الى عدمية تدميرية سيصعب على الجميع تسييرها، حتى الذين يستفيدون اليوم من جنوحها.

فالرواية تنظر للهوية نظرة إيجابية، فهي الحصن المنيع التي تمكن الشعوب من الحفاظ على ثقافتها، وحمايتها من الاستلاب والتشويه، فالهوية فضاء للتبادل بين الماضي والحاضر، فحياة الناس كتاب مفتوح للقراءة والمتعة والتفاعل حين تصبح مشاعا للجميع، تتأرجح بين طيات التاريخ ومصنفات الخيال الواسع

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 14

كالرواية، ففي الرواية تتصارع الذات باحثة عن هويتها من خلال أحداث متنوعة لحياة بأكملها مثلما يعبر "جاز" في الحوار الذي تبادله مع "ميترا": « معك حق يوما بعد يوم يتأكد لي أني لم أكن أعرف شيئا عن سياق أريد تجسيده، فقد أكون قاسيا، الكتب تمنح المعلومة ولكنها لا تمنح الحياة، أنت تدركين يا ميترا، قد لا يهم الناس ما يتخفى وراء السيمفونية، المهم الإحساس بها، ما تحمله لهم من نبض حي التناغم والانضباط الموسيقي والمتعة، ولكنك عندما تؤلف، فأنت تفعل ذلك داخل نسق ثقافي لا أحد يعرفه إلا أنت، وهذا هو السر العظيم للنجاح. أمي كانت محقة في موقفها لأنها كانت خائفة عليّ من تيه الهوية وبحثي عن هذا الجذر الناقص في هويتي ليس طعنا في رغبة أمي في وضعي خارج شطط الهويات المرهقة المتعبة، تخيلي رجلا يقضي عمره وهو على يقين من حبه وانتماءاته، وفجأة يستيقظ ويكتشف نفسه وكأنه لا يعرف شيئا عن نفسه أولا، ولا يعرف محيطا كان يظن نفسه الى وقت قريب، أنه يعرفه جيد»[1]

«لقد أسقط المؤلف الحاضر على التاريخ في مناقشته لقضايا مطروحة في حاضرنا اليوم، فالحفاظ على الهوية وحماية الخصوصية الثقافية لا يتم بمعزل عما يجري، فالانكفاء على الذات لا يمنع التغيير من الوصول، وهو ما حدث للجد شريف، الذي حاول الإنعزال عن العالم والتاريخ الجديد، واختزل تاريخه في لحظة انكسار: "أمي تقول إن جدي صمت نهائيا منذ 1967 وانكسر، هذا التاريخ كان الضربة القاضية التي قذفت به في أتون المنفى الداخلي»[2]

إن الصمت الذي التزمه الجد له أكثر من معنى، فهو غياب عن الكلام وعن الحضور الإيجابي للذات في الحاضر، الجد بين ثقافة الرفض والتحدي والمقاومة وثقافة الخنوع والخضوع، لكن الحفيد "جاز" يمثل نقطة الالتقاء بينهما، ويرمز للجيل الجديد ما بعد الاستعمار الذي يسعى لترجمة هذا الصمت وفهمه. ولهذا أدرك الجد أن كل ذلك كان يثقل به ذاكرته: «الاحتفاظ بالمقابر داخليا ليس أمرا بسيطا ولا سهلا، شيء يجب التخلص منه، ضيعت أكثر من عشرين سنة وأنا أشم تربتي وفراغي، لا يمكن أن نعتز بالفراغ عندما يتعلق الأمر بالحياة والحب".[3]

هنا الدعوة الى الماضي ليس للمكوث فيه والتشبث به، وإنما لقراءته وتجنب أخطائه، والاستفادة منه والاستشراق للمستقبل، كي لا تتكرر المآسي مجددا، والذاكرة مملوءة بهذا الماضي المؤلم الذي لا يمكن التخلص منه ونسيانه، فلكل شخص ذاكرة وتاريخ كما للدول والأمم والأمكنة.

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 224
[2] المصدر نفسه، ص 208
[3] المصدر نفسه، ص 179.

إن العودة لاستذكار التاريخ في الرواية ليس حفرا في الذاكرة، وإنما هو تأكيد لوجودها وأهميتها، وضرورة البحث في الجانب المنسي وغير المدون ومن هنا تطرح إشكالية المثقف العربي وعلاقته بالمجتمع وأزماته المختلفة الاجتماعية والاقتصادية، فالفكر يتشكل من خلال تمازج وتفاعل بين التاريخ والواقع الفعلي المعيش، لذلك يجب تحليل وتفسير هذا التفاعل لتحديد رؤية المجتمعات العربية للتاريخ الذي يكونها.

إن الثقافة العربية من خلال من تضمنته الرواية هي الكل مركب من أخلاق وسلوكيات ورموز وإبداعات، تكون أساليب للحياة، وتتبلور عندئذ الهوية القومية، ليثبت الانسان بذلك شعوره بالانتماء الى الأمة العربية، ومنه يدرك المثقف قيمة ومكانة هذا الانتماء القومي، ويكتشف بنفسه دوره في عملية البناء الاجتماعي النابع من الأعماق والرافض للذل والخضوع والتبعية بكل أساليبها ومسمياتها ومبرراتها، وهذا ما قصده " الأعرج" في روايته وهو البحث في الذاكرة والتاريخ للتأكد والمساءلة.

كما تعرضت الرواية للنظرة الدونية للغرب اتجاه العرب، فهم يعتبرونهم برابرة متوحشين متخلفين مغفلين ولكنهم قابلين للتبعية والانقياد، وهذا ما ورد على لسان الكولونيل كيركبريد مخاطبا لورانس العرب: «العرب هكذا ينسون بسرعة على الرغم مما يبدو عليهم من توحش، فهم مخلوقات رقيقة وحساسة، إذ عركت آذانها بقوة فهمت وفكرت بعقلها»[1]

أما اليوم فيعتبرون العرب قتلة وإرهابيين ومجرمين وهو ما أتهم به جاز بعد الإعتداء على البرجين: «أخرج أيها الإرهابي، أخرج أيها العربي النتن من مدينتنا، بروكلين ليست للقتلة»[2]

وكذا في هذا المشهد: «أعد لي أيها الإرهابي القاتل رجلي ولحمي الذي أحرقته، لا نريد بيننا العرب والمسلمين الذين تسللوا الى بروكلين، هذه الأرض ليست لهم، ليخرجوا... ليخرجوا...» [3]

وبينما في المقابل يرى العرب الغرب على أنه مستدمر، محتل، مستغل، لكن ثروات وخيرات وقدرات الشعوب وخاصة العربية، مثلما يصرح به جاز في حواره مع الممرضة مونيكا: «لو كانت البشرية تمتلك ذاكرة لما فعلت في نفسها ما فعلته، قد يبدو لك كلامي غير معقول ولكني أتسائل هل كان بإمكان رجل لا يعرف القراءة والكتابة مثل كريستوف كولومبوس أن يفعل أكثر مما أفعله؟ هل أغبطه لأنه فتح البشرية على عهد جديد تسارع تطوره حتى وصل مرحلة الإختناق، أم أشتمه لأنه شرع أبواب الإبادة الجمعية، تصور بيننا وبينه أكثر من أربعة قرون والى اليوم لا يغفرون له إبادة قبائلنا عندما نزل أول مرة على

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 177
[2] المصدر نفسه، ص 178
[3] المصدر نفسه، ص180.

حافات البحر، الحقد مثل الجمرة المتقد على الرماد، الرياح لا تطفئها ولكنها تزيدها اشتعالا»[1] وهو ما يؤكده كلام جاز: وماذا يقول جدي الذي واجه كريستوف كولومبوس من نوع آخر؟ أطعمه كذبا على مدار كل الحرب العالمية الأولى وجره نحو الحروب كان الخاسر الأكبر فيها، خرجت ألمانيا وعادت الى أراضيها مدت تركيا يدها على كيليكيا وسواحلها، وأغلقت حدودها التقليدية بينما جدي جردته الاتفاقيات السرية من كل حق في بناء يوتوبيا جميلة، قضى شبابه مع أبناء جيل كان في النهاية طعما للحرائق والمدافع.

تخيلي للحظة عندما رفعت أعلام الانتصار على ألمانيا وتركيا المريضة في أوروبا، ضربوا جدي على يده وقالوا له: انتظر، هذه الأرض ليست لك وابتدعوا لها اسما اختزلوه بسرعة: ويطا OETA

وكأن الأديب يربط ظهور الاستعمار بكريستوف كولومبس، فهو لم يذكره صدفة، بل ما حدث من اكتشافات وما رافقها من إراقة دماء وإبادة شعوب هو ذلك الاتصال الفضيع مع الآخرين وما تميزيه من خطابات استدمارية بين الأمم، فشعوب العالم الجديد كانت ضحية الصراع الأوروبي معها نتيجة لما اتصفت به من بداءة وتخلف، في حين اعتبر الشرق همجي وحشي، فتعامل الاستعمار مع هذا الكون كان وفق نظريات وايديولوجيات مختلفة مما أثر على التوازن الكوني. كما أن الافتقاد للهوية السياسية والثقافية يرهن الهوية لتصبح مزيج غبر متناسق يهدد وجودها، وهذا ما صرح به الجد شريف قائلا: «نعيش التمزيق وقد يعيش القادمون الفقدان، وقد يعيش ما بعد بعدهم النسيان»[2] . وبهذا تصبح "الهوية أكثر من غابة مرض قاتل[3]

التمزق هو تلك الروح الطواقة لموطنها، لأرضها، هو شوق وحنين الجد لفلسطين وللشام، وكذلك جاز الذي هو مزيج من العرب والغرب، لكن المخزون الثقافي المتوارث عبر الجد والذي يشكل تقاطع بين الموروث الثقافي العربي والموروث الثقافي الغربي، أين يجد (نفسه) جاز هويته تتموقع بين التمزق والفقدان والنسيان. إنها مشكلة الجيل الثاني في أبناء المهاجرين، هوية ترتبط بالحنين الى الأصل وتعاني من هشاشة الأساس وصعوبة الاوبة، فمعنى الأرض والوطن تغير عندهم، فهم يحسون، ويعجزون، هوية خليطة منشطرة: «ولكني كنت أعرف أرضها الأولى، ونسيت وقتها أن الأرض الأولى كان لها تعريف آخر لديها غبر التعريف الذي حفظته في المدارس قبل نصف قرن»[4]

إن افتقاد قيم الخير والتسامح والإنسانية يرهن حقوق الإنسان بطغيان القوة، وبروز التحالفات الضيقة والمصالح على حساب المصالح الإنسانية، مما يؤدي الى الفشل والخراب مثلما تصرح به "جوديت"

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 179
[2] المصدر نفسه، ص 180
[3] المصدر نفسه، 180-181.
[4] المصدر نفسه، ص 183

رئيسة المركز الدولي للتصوير قائلة: «أن معرضنا يمكن أن يؤدي وظيفة صغيرة لتنبيه الرأي العام الى خطر الانزلاق العرقي خصوصا في بلد مبني أصلا على التعددية، العرب ليسوا لا أقل ولا أفضل من بقية الأقوام التي يتكون منها النسيج الأمريكي المعقد، يجب أن يقلل الناس من عماهم المستشري، ومن أحكامهم الجاهزة»[1]

ففي ظل غياب القيم والأخلاق والتسامح والتعاون والتضامن، تتفكك العلاقات وتتلاشى الاتفاقات والتفاهم والانسجام، مما ينتج بروز الخصوصيات الجزئية واختفاء الخصوصيات الجماعية، فيتجلى الصراع الطائفي والعرقي، وتبرز مرة أخرى قضية الهوية، فهي لا تعني التطابق المطلق، بل هي تشابه واختلاف، هي التشارك في مناحي الحياة مع الحفاظ على السمات الخاصة لكل الأطراف، كما ركزت الرواية على فكرتي التسامح والتعايش، فإن كان المصطلح الأول خاص بالمجال السياسي، فالمصطلح الثاني يحمل في طياته مفهوم ثقافي.

التعايش هو تواجد كل الأعراف والأقليات في الشرق والغرب، وضرورة تقبل الآخر خاصة في أمريكا التي تمثل الفضاء العام للنص الروائي، باعتبارها موطن وقبلة للجميع، كما أنها موطن للحرية والديمقراطية المزعومة، كما أنه ومن الضروري التسامح بين الديانات السماوية الثلاثة، وقد تعرض المؤلف لهذا الموضوع في أكثر من موضع من ذلك: «قبل أيام فقط كنت في مظاهرة مع عائلتي ضد بناء المستوطنات الإسرائيلية مع أنصار البيس -ناو ومناهضة المكارثية الجديدة، تعرف من كان على رأس مسيرتنا؟ إثنان: يهودي وفلسطيني، أعطيانا درسا كبيرا في التسامح بلا خطابات زائفة، ولا كذب ولا جعجعة: نعوم تشومسكي وإدوارد سعيد»[2]

لقد أبرز هذا الإعتداء وأظهر كل هذه الثنائيات الضدية، الأنا والآخر، الشرق والغرب، الصراع بين الحضارات، أيضا تم التطرق الى فكرة التعايش والتسامح كحل لمشكلات العالم اليوم رغم اختلاف الأصول والمنابع.[3]

3-ب- الصراع بين الأنا والآخر:

لقد حاولت رواية "رماد الشرق" أن تجسد رغبة الانسان العربي في محاولة فهم الآخر ودوافعه ونوازعه، الذي بدا في أشكال مختلفة بداية من التسلط العثماني، ثم الاحتلال البريطاني والفرنسي ثم الاحتلال (الصهيوني). وأخيرا الامبريالية الأمريكية يتضح ذلك من الصفحات الأولى من الرواية «ميترا جدي يستحق أكثر من هذا ... لقد أحرق عمره وهو يبحث عن مسالكه المستحيلة داخل وضع معقد اسمه

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 185
[2] المصدر نفسه، ص 186
[3] المصدر نفسه، ص 181-182.

المسألة الشرقية، عندما كانت الدول العظمى تبحث عن بوابات داخل البحار، كان يحاول عبثا أن يتشبث بسواحله ويلتصق بتربته ومائه الذي سرق منه».[1]

سلطت الرواية الضوء على النظرة الاستعلائية للثقافة الغربية، أوروبا وأمريكا كثقافة عظمى، اتجاه الأمم الأخرى كالعرب والهنود: صغرى، فهي تعمل على تشويه للثقافة الصغرى، أي تدمير الهوية القومية للمجتمعات الأخرى.

كما أن المستعمر عمل على مسخ الهوية والمقصود بالهوية هنا الهوية الفردية والاجتماعية على حد سواء للشعوب المستعمرة، وكذا اقتلاع خصوصيتها، وهذا ما يجليه حوار جاز مع الممرضة: «ضربوا جدي على يده وقالوا له انتظر: هذه الأرض ليست لك[2]

ينظر العرب الى الغرب على أنه مستعمر، وعلى أنه صاحب أكبر عملية نهب لأراضي، ولإمكانات الشعوب، خاصة العربية، مثلما يصرح به جاز في حواره مع الممرضة مونيكا والكلام هنا للممرضة: «لو كانت البشرية تملك ذاكرة لما فعلت في نفسها ما فعلته، قد يبدو لك كلامي غير معقول ولكني أتساءل دائما هل بإمكان رجل لا يعرف القراءة والكتابة مثل كريستوف كولومبس أن يفعل أكر مما فعله؟ ... الحقد مثل الجمرة المنفذة تحت الرماد، الرياح لا تطفئها ولكنها تزيدها اشتعالا»[3]

وهو ما يؤكده كلام جاز: «وماذا يقول جدي الذي واجه كريستوف كولومبوس من نوع آخر؟ أطعمه كذبا على مدار كل الحرب العالمية الأولى وجره نحو حروب كان هو الخاسر الأكبر فيها»[4]

1- دور الصّحافة والإعلام:

كانت أحداث 11 سبتمبر تاريخا مشؤوما للعرب والمسلمين نقلته كل القنوات التلفزيونية في العالم، حتى أصبح هاجسا مريعا للجميع.

يقول الأعرج: «التلفزيون كان مثبتا على صورة بقايا البرجين وفوضى الحركة في قلب المدينة، فتح الراديو في كل محطاته، لم يسمع شيئا يشفي غليله»، وهكذا طبعت الصورة في أذهان كل الناس عبر كل القارات، تساؤلات عديدة واحتمالات واردة: «شريط الأخبار يقول إن طائرة ثالثة هوت على البنتاغون»[5]

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 09.
[2] المصدر نفسه، ص 11
[3] المصدر نفسه، ص33.
[4] المصدر نفسه، ص34.
[5] المصدر نفسه، ص22.

وهكذا بدأ التدرج في نقل الأخبار وايصالها وتوضيحها "بدأت الأخبار تزداد وضوحا مع مرور الوقت، لم يصبح ما حدث للمدينة سرا".[1]

أصبحت وسائل الإعلام أهم منبر لتلقي الأفكار ونقلها ونشرها، فهي هنا تقوم بوظيفتها التوجيهية والتحذيرية من مغبة الإرهاب وخطره على العالم. مع تنمية الوعي بضرورة لم الشمل أي جمع القوى العالمية لمحاربته ومواجهته واجتثاثه، حيث لعبت التلفزة دورا هاما في التأثير على الرأي العام العالمي، وايصال رسالة مفادها أن الإرهاب صناعة عربية إسلامية، تتقاسمه البلدان والشعوب العربية والإسلامية، فلا بد من القضاء عليه.

فالصورة المنبعثة عبر شاشات التلفزيون العالمية غيرت وأحدثت ما لم يبلغه الكلام. لقد أوصلت المضمون بطريقة واضحة ومؤثرة، فصورة "سليم الجزائري" وهو يساق رفقة رفاقه الى المشنقة مبتسما اختزلت خباياه ورغبته وهدفه، بل رسمت واقع جيل بأكمله، وكانت جاذبة ومحفزة لـ "جاز" عندما رآها في المعرض، لينتقل الى طوليدو حيث يستشف الحقائق التاريخية من جده "بابا شريف" لقد ارتسمت في ذهنه. واضحة معبرة، فكان يبحث في الصندوق عنها بشغف ولم يخطئ في تحديدها لتميزها صورة حكت واختزلت تاريخ جيل بأكمله. ومنه فقد أصبح التصوير الفوتوغرافي أكثر الوسائل القيمة لتسجيل التاريخ

الاجتماعي للمستقبل وللأجيال القادمة يقول الأعرج «هذه الصورة فلا بد أنكما تعرفانها جيدا، فقد كتبت جرائد ذلك الوقت عنها كثيرا حتى بدا كأن الثورة العربية في هذا الشخص لورانس العرب» [2]

الجرائد كغيرها من وسائل الإعلام تبنت الدعاية له فهو بطل الثورة العربية وقائدها لتحقيق حلم العرب في الحرية وتكوين دولة عربية مستقلة عن الأتراك وهي الأكذوبة والأغلوطة التي ذهب ضحيتها الآلاف من الشهداء، تبناها الاستعمار البريطاني، ونشرها في أوساط الأمة العربية، حيث كانت للجرائد حينها المكانة المرموقة والمقروئية العالية، خاصة لدي المثقفين والقادة والأمراء، ولم تفقد مكانتها اليوم يقول واسيني: «رأت ألسنة النار وقد حولت الحياة في الأمكنة التي مستها الى أخبار في الجرائد أو الى فتوحات تشيد بها الجرائد اليومية القديمة». [3]

الصحف تحمل الأحداث ما لا يتوقعه الجميع، فتثير الفتن وتحقق غايات سياسية رسمت لها: «الصّحف تسبق الأحداث دائما وتحملنا مسؤولية أحيانا أكبر من طاقاتنا الفعلية»[4]

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص28
[2] المصدر نفسه ، ص 139.
[3] المصدر السابق، ص12.
[4] المصدر السابق، ص66.

هكذا هي أفعال الصحف والجرائد، وهكذا هو دورها في إدارة المواضيع ورصد الخطط والتسلح بالأدلة لإقناع القارئ بمسببات الأحداث، وتعمل على فضح الإرهاب ونبذ سلوكياته والدعوة لمحاربته.

أما ما ورد عن دور الاعلام في تاريخ العرب، وخاصة في جبهة القتال فقداعتمد على نقل الرسائل الشفهية والكتابية، أو بشكل أكبر تصل الأخبار عن طريق التجمعات والمقاهي، لحشد الهمم ورص الصفوف، ومن ذلك قوله: «كانت الأخبار في جبهات القتال تصل عن طريق المقاهي»[1]

وختاما لقد استطاعت الصحافة والإعلام من إحداث زعزعة للفكر الغربي والعربي، والتأثير فيه، والتأسيس لعهد جديد تحت غطاء محاربة الإرهاب، وكانت الشعوب العربية والإسلامية الطعم الذي يسير للصهيونية العالمية بسط نفوذها على العالم.

1- مشروع واسيني الأعرج في محاربة الظاهرة:

"رماد الشرق" للأديب الجزائري واسيني الأعرج رواية تستعيد قرنا من الحياة العربية طارحة إشكالية معاناة العرب المسلمين في تاريخهم المعاصر، منذ الثورة العربية الكبرى وانحسار الحكم التركي، وما واكب ذلك من تخطيط مبيت لإعادة رسم الخريطة العربية، مرورا بنكبات متتالية على الشعب الفلسطيني. انتهاء بحادثة انفجار برجي نيويورك الشهيرة.

فقد تحدث الروائي عن مشروع لسيمفونية عظيمة يسعى بطل الرواية "جاز" الى إطلاقها، لأكثر من غرض، ولعل أبرز هذه الأغراض هو الحكي عن حقائق إسلامية مفزعة عن عالمنا العربي، فبحثه المستمر عن الحقائق عقب احساسه بوجود تصدعات، وفي زيارته لأحد المعارض تلفته صورة رآها عند جده التقطت لأشخاص معلقين على أعواد المشانق، وهو يعرف أن جده كان قد شهد والده على مشنقة "جمال باشا" في ساحة البرج، فما كان عليه إلا أن يسافر الى جدّه في طوليدو باحثا في أرشيف الجدّ وهذا ما يبرز لنا سلطة الآخر وفرض السيطرة، وطمس الديانة الإسلامية، ويأخذنا العمل تجاه مسيرة طويلة "بابا شريف" حتى تقتل زوجته وأمه بينما تنجو ابنته من خلال مآسي الشعب الفلسطيني.

وبإشعال الحروب الغربية تصبح فلسطين هدية للحركة الصهيونية فيتحول الدّين الى لعبة قاسية، ويتضاعف قسوته حين يتحول الى موضوع الصّراع بين الوافد النّاهب.

وتتالى الخسارات القاسية منذ النكبة وحتى حادثة تفجير البرجين الشهيرة، وهو ما بدا لحظات مفصلية شبيهة بتلك التي ينظمها "جاز" في سيمفونيته، و هو مؤشر هام يحيل الى كتابة واعية بتاريخ يحمل الكثير من التجارب الإنسانية ، مما يجعلها قادرة على تفسير المذاهب الإنسانية والنظر الى الطبيعة الإنسانية

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق ، ص208.

والتطور الإنساني بمفهوم الوحدة العضوية ومن هذا المنطلق تحضر الإبادة الجماعية للعنصر السكاني الأصلي التي فتح كولومبس أبوابها لتكون فكرة متكررة عبر العصور، فلكل عصر كولومبس وظيفته السمو الحضاري بالرعية المتخلفة بإبادتها وقتل الوازع الديني الذي يشعرها بالريبة والخوف من الإسلام.

جمعت الرواية بين أكثر من شخصية عبر مسارات مختلفة، لنتوصل بعدها الى انحياز لموت مشرف، حتى ولو كان الثمن غاليا وهو ما يمكن تمثله عبر كثيرين اختاروا الموت بعزة وكرامة على حياة ذليلة (يوسف العظمة، عبر القادر الحسيني، البطل نفسه...) كذلك قدم الموقف من الأتراك عبر أطروحات متعددة، بعضها يرى فيهم جزءا من الأمة الإسلامية قدم من الحضارة ما يصعب إنكاره، في وقت لا يعفى فيه الأتراك من مسؤولية إيقاع العرب في التخلف والظلم معا، فإن الرواية لا تهمل أخطاء إنسانية ارتكبت بحق الأتراك أثناء الثورة العربية، كان رأسها لورانس العرب حين أمر بدفن الكثير من الجرحى من الجنود الأتراك وهم أحياء ورمى عليهم الجير.

يأتي مسار الرواية ليثبت لنا أن خطر النازية في نهاية الأمر مثله مثل خطر الاستعمار أو الصهيونية كل منهما يمارس تعاليا ويرتكب جرائم بحق الإنسانية خوفا من الدين الإسلامي وما تحمله معتقداتهم عنه.

هو الأمر إذن أن الشخوص تتحرك وفقا لتصورتها بعيدا عن تصورات الروائي، لكن في العمق يبقى بالإمكان تحديد وجهه نظر راوٍ يعمل في الخفاء ويوجه القارئ نحو مركز واحد للرؤية ويطمس ما بدا

توزيعا متكافئا للمواقف، وذلك عن طريق علاقة خاصة تربط خطاب الراوي بخطاب الشخصيات كما كان بالنسبة لراو -شريف جد جاز-ينقل ويعلق بالسلب والإيجاب على (إبراهيم خال شريف)

ويكرر عبارات الثناء له وهو ما يمكن التدليل عليه حين تحضر راشيل اليهودية لتقول حائط المبكى، بينما أراد البطل أن يقول حائط البراق لكنه تراجع. كما يحتفظ بحقه في الاختلاف مع جمل أخرى تتعارض وخلفيته المعرفية والثقافية.

يلفت القارئ في "رماد الشرق" اتصال بين المبدع والقارئ من خلال صورة فنية بطلها مكان يأخذ طابعا جماليا من خلال مكان بابا شريف في طوليدو، حيث يقضي أيامه الأخيرة مستنسخا المكان القديم في الشرق بأجوائه الممتعة برائحة الياسمين ورائحة الهيل والقهوة الأندلسية وما تحمله من دلالات عربية أصيلة.

وقد أبدع الروائي بدمج ما هو إنساني جمالي معاصر بأرشيف يرويه التاريخ الذي تتحدث عنه السيمفونية، وبذلك رحل بنا في فضاءات من الحرية دون قيد نظامي وإيقاعي، فمهمته إيقاظ المشاعر حين نقل لنا مشاهد مؤثرة لبشر قبل ساعات من إعدامهم، تتراوح بين ضحك يوحي بمفارقة من يندفع نحو

الموت وهو يقاتل من أجل الحياة وبين إحساس طبيعي بالخوف لحظة التفاف حبل المشنقة حول رقبة "سليم والد شريف"، الذي بقي لديه أمل بأن السفاح لن يفعلها، ليظهر صورة المتسلط الآخر في طمس العربي المسلم.

من خلال ما تقدم فالرواية حملت في طياتها معاناة العرب في ظل تحررهم من قيود الآخر، الذي فرض السيطرة وبالقوة على كل من حمل راية الإسلام، وعمل على تشويه صورته فجعله بذلك السّفاح القاتل، فكتب عنه أشياء فظيعة، وبذلك فالرواية جاءت تنفي فكرة وجود شعوب ذكية وأخرى غبية، وهذا ما جعلنا نعتبرها هدية لكل من انتزع من أرضه الأولى، أو قتل ظلما، نشرت دفأها رغم ما احتوته من ألم موحش، لم تكن درسا في التاريخ الإسلامي، وإنما هي درس في الحياة نعلمها، ونرسلها كرسالة مشفرة للشعوب القاهرة المستبدة، التي تفرض سيطرتها بالقوة والأكاذيب، وتزييف الحقائق، فيجب علينا أن نجعلها رهان كبير لزرع قليل من المحبة بين الناس والتأمل عميقا في دواخلنا التي تشع بنور الإسلام ومبادئه القيمة لتكون مثالا وقدوة يحتذى بها أمام كل متسلط جبار.

لقد قدم لنا لوحة فنية صورت واقع الظاهرة بكل براعة وإبداع، حيث جعل البعد السياسي والتاريخي إطارها الخارجي، والبعد الاجتماعي يبين تفاصيلها الداخلية، والبعد الثقافي يعطي لها أبهى لون، لتنجلي لنا حقيقة الظاهرة وما تحمله من خفايا.

5-أ- قراءة التاريخ قراءة صحيحة:

إن مباغتة الجزائريين والنزول بسطوالي وسيدي فرج بالنسبة للجيش الفرنسي لم يكن صدفة بل هو نتاج عمل تجسسي استباقي لليهود تمكنوا من خلاله تحديد مواطن القوة ومواطن الضعف للجيش الجزائري تحت غطاء العمل والتجارة طيلة سنوات، وبالمثل ندبت الحكومة الفرنسية الجاسوس "ليون روش" الصهيوني الى الجزائر ليتظاهر بالإسلام ويتقرب من الأمير عبد القادر حتى أصبح موضع ثقته ومحل أمانته بعدما أقام في البلاد العربية ثلاثين عاما، صال وجال من مصر الى الجزيرة العربية حيث تعلم اللغة العربية، واكتسب طباع المسلمين وخبرة في كيفية التعامل معهم، ليمكث أربع سنوات رفقة الأمير عبد القادر، فحضي بمكانة لديه حيث تكفل شخصيا بتعليمه القرآن الكريم لإعجابه به، في حين كان "ليون روش" ضابطا فرنسيا قضى حياته جاسوسا مخلصا ينقل خطط الأمير وأفكاره وتحركاته وعدد جنوده وعتاده الى الجيش الفرنسي.

مما أثر في الأمير وازداد قربا منه هو رفضه العودة مع والده بحجة تفضيله للمسلمين وللجهاد، أين رفض لاحقا مواجهة العدو الفرنسي، واعترف بمهمته فتخلى عنه الأمير واصفا إياه بالمرتد، فواصل "ليون روش" رسالته المتمثلة في تحريم مقاتلة الفرنسيين وظل متنقلا بين العلماء والشيوخ لتحقيق رغبته.

على نفس المنهج خطا لورانس العرب خطواته فهو وسيلة صهيونية تم استثمارها لتحقيق أغراض استعمارية بريطانية بإدعائه صداقة العرب ومساعدته لهم، وكتاباته "أعمدة الحكمة السبعة" تفضح أهدافه وخطط الاستعمار البريطاني للمنطقة لأجل الشرق الغربي الجديد، فقد استمال لورانس العرب الشريف حسين وأبناءه وبالأخص الأمير فيصل الذي استغله أيما استغلال لتمرير أفكاره والتصدي للوجود التركي والاستيلاء على تركته باسم "الحرية للعرب" في حين هو تمهيد للتواجد الاستعماري الإنجليزي الذي كان يعمل مخبرا لديه، والذي سعى الى تدمير كل البنى التحتية وقطع الأشجار، وما وصول الأمير فيصل الى دمشق وتنصيبه كأمير عليها كان تابعا للسلطة البريطانية، وعمد لورنس الى قتل الأمير عبد القادر الحفيد لفضحه له ولخططه الصهيونية.[1]

كان "الأمير فيصل" ينفذ كل ما يطلبه منه، ليجد في الأخر المنطقة العربية مقسمة بين بريطانيا وفرنسا، ليعين هو حاكما على العراق: «في الحرب العالمية عند ما كان السكان الأصليون يموتون، كان أصدقاؤهم الانجليز والفرنسيين والروس يوقعون اتفاقات تقسيم التركة التركية». تماما مثلما اليوم الشعب الفلسطيني يباد واليهود والأمريكيون والعرب يوقعون اتفاقات القيادة المستقبلية في غزة.

"فجأة وجد كريستوف كولمبس الجديد نفسه هو سيد الأمر بينما وضع السكان الأصليون بين كماشتي الموت والمنافي التي لا تنتهي"[2]

كذلك اليوم استفحل داء اليهود في فلسطين وازداد بطشهم بأهل غزة وذنبهم الوحيد أنهم أصحاب الأرض منذ قرون وأصحاب القضية العادلة يحاصرون ويجوعون ويقتلون، ليتمكن هؤلاء السادة الجدد الصهاينة من سيادة الأرض، بعد اكتشافها، وإبادة أهلها وتهجيرهم بشتى الوسائل، كما أن تنقل وزير خارجية الو. م. أ الى الدول العربية بحجة التهدئة والبحث عن التفاوض والحلول وايصال المساعدات الإنسانية الى غزة ماهو إلا ذر للرماد في العيون، فهو في الجهة الأخرى يرسل طائراته وجيوشه وأسلحته الفتاكة ليدمر غزة ويبطش بأهلها الأبرياء انتصارا لصهيونيته.

«أنت ساذج يا جاز... الديكورات العامة تتغير ... لكن البشر الذين يثيرون السوء هم لا يتغيرون أبدا، سادة في كل زمان ومكان»[3]

الكفر ملة واحدة وللاستعمار نفس الأغراض وان اختلفت الصفات فمجازر 8 ماي 1945 تتلاقى ومجازر دير ياسين، وكفر قاسم، ومجازر غزة اليوم، وكلها من صنيع اليهود الصهاينة.

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 34.
[2] المصدر نفسه، ص 204.
[3] المصدر نفسه، ص 108

«الأمريكي يعلم كل علوم الدنيا البراغماتية إلا التاريخ البشري الذي يفتح أعين الناس على الحقائق المخفية».[1]

التاريخ البشري مملوء بالظلم والاستبداد والوحشية، وقراته تفتح الآفاق لمستقبل أكثر أمنا وسلاما، فقراءته قراءة جيدة والاعتبار بأحداثه يخلق الوعي لديه ليتجنب كل ما يعرقل مسيرة حياته وشعب مثقف شعب لا يستعمر أبدا.

إن بعث الحياة في التاريخ ونفض الغبار عنه وإعادة كتابته بفك تعقيدات الماضي ومساءلته والسعي لفهمه تيسيرا للاستمرارية الزمنية، فهو مسؤولية الفرد والمجتمع حفاظا على الهوية، واستنارة به خلال المراحل المظلمة، "فالأعرج" يحملنا هذه المسؤولية لأننا أقرب الى قراءتها قراءة سليمة وموضوعية، نستلهم منها الحقائق، ونحفظ من خلالها الدروس، ثم نستزيد ونستفيد في تجاوز المعضلات، فالتاريخ يعيد نفسه، والمتفوق من يقرأه بروية حتى يتجاوز أخطاء الماضي، ويدير أمر الحاضر بروية وخبرة، ليتجنب ما يحدث في المستقبل.

إذا كان بعض الأدباء يسعون لكتابة نص سردي يحمل عمق التاريخ وجمالية الإبداع لأجل إثراء بنية النصوص الروائية، أو لأجل انتقاء مواقف تاريخية لأغراض ضيقة، أو لإدانة التاريخ، فإن "واسيني الأعرج" يستدعي التاريخ لا لمحاكاته والنسج على منواله، وإنما لتمثيل الواقع وفهمه في ضوء الماضي، وكذلك إعادة تصحيح وفتح دفاتر كانت مغلقة في التاريخ، وكشف أحداث كانت مخفية.

لخص لنا "واسيني الأعرج" التاريخ العربي في القرن العشرين في روايته "رماد الشرق"، كما وظف التاريخ في أغلب رواياته، للدلالة على أهمية قراءته وإعادة كتابته وصياغته من جديد، لتشابك وتعقيد أحداث الحاضر وبحثا عن مستقبل أكثر استقرارا وأمنا.

فلكل عصر كولمبوس وظيفته السمو الحضاري بالرعية المتخلفة بإبادتها وسرقة خيراتها وتعطيل مستقبلها.

5-ب- توظيف الفن:

انطوت رواية "رماد الشرق" على عدة فنون منها: الموسيقى وما تحمله من شعر وأغنية وسيمفونية، والسنيما والمسرح، والرسم والنحت، والتصوير والرقص، فقد وظفت هذه الفنون لإضفاء جو من التناسق الدلالي والتركيبي لأحداث القصة، وهي سمة تميزت بها الرواية الحداثية: وهي وسيلة مهمة لكسر رتابة

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق ، ص205

السرد، وللإبحار في أعماق وجدان الشخصية والولوج الى عواطفها الباطنية لتحديد ملامح الشخصية، ولمضاعفة مفعول الحدث السردي.

توظيف السيمفونية بقراءة ظاهرية، مجموعة من الموسيقيين (90 موسيقيا) على اختلاف أجناسهم وانتماءاتهم يصطفون ويتوحدون في أداء نغم واحد مدروس، تحت قيادة مايسترو واحد "جاز" وهذه الصورة توحي لنا بقدرة التعايش الإنساني عندما تكون الغاية سامية وهادفة، وعندما يتعالى كل واحد عن هجيته وعصبيته ويتقبل الآخر يحدث التناسق والانسجام والإبداع والحبور.

الموسيقى علم بذاته، ووسيلة راقية للحوار مع الآخر في جو متناغم، وبأرواح مفعمة بالحياة، مملوءة بالعطاء، مقبلة على الاستماع والإصغاء والاستمتاع والترديد، عالم يختزل الحروب والمعاناة بين الشعوب. يختزل الآلام والآهات والويلات، التعصب والأفكار الهدامة، يرقى بشعور الإنسان نحو المتعة والتلذذ، فإن كان التاريخ مظلم بالقتل والإبادة والوحشية، فالموسيقى تكتبه سيمفونية خالدة لا تنسى تحدث القلوب، والمشاعر والأحاسيس، تحدث الإنسان عن انسانيته بأسلوب راق يسعى لتبليغ رسالة التاريخ ونشر رسالة السلام، ودحر الصفات الهمجية والبربرية التي ألحقت بالشعوب العربية.

كما أبدع "واسيني الأعرج" في توظيف تقنيات السنيما "الفلاش باك" باسترجاع الماضي بكل مآسيه صور الإعدام والحروب الخاسرة، ضياع فلسطين والهجرة الى أمريكا، وكذلك استرجاع "جاز" لذكرياته مع والدته "مايا".[1]

وظف أيضا الرسم، تنفرد مايا للرسم داخل الصالة أو في الحديقة، الرسم هو التعبير عما يجيش بخاطرها من أحاسيس ومشاعر مكبوتة، رسمت صورة " خريف نيويورك الأخير"، هي تماما كالورقة تحن لمواطنها وتحزن لفراقه، تماما مثل الورقة التي تحن لأعضاء الشجرة.

استعمال الحوار بكثرة وهو أحد ميزات المسرح، هو نمط تواصل لتبادل الأفكار، وكأنه يدعو لحوار الأشخاص والأمم والحضارات للتعايش السلمي ونبذ العنف والحروب، الحوار يطلع الآخرين على الأفكار والهواجس والطباع ويمهد للتفاهم والتأقلم والتوافق.

الاعتماد على فن التصوير، فالصورة لغة الإنسان البدائي في إيصال رسالة ما، أما اليوم فتستعمل في الإقناع الإعلاني، وهي أحد الدعائم الأساسية في وسال الإعلام الجماهيرية، ولها طبيعة رمزية واختزالية معا، فهي قادرة على توصيل الأفكار بتأثير أكبر من تأثير الكلمة، وهي تسهم في إقناع القارئ، لذا التجأ إليها المؤلف لتختزل له تاريخا كبيرا وتوصل الغرض وتحقق الهدف في أقصى زمن.

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 195

فصورة مبنى التجارة العالمي والطائرة تخترقه كان كافيا لإقناع الدول في دعمه لمكافحة الإرهاب، وصورة العربي بن مهيدي مكبل اليدين وهو يبتسم في مقابلة كاميرات العالم، "تختزل لنا تاريخا مفعما بالبطولة، زاخرا برجال أحبوا الموت فوهبت لهم الحياة، لذلك يجب تدريس التاريخ باعتماد الصور الحية المعبرة لغرس الروح الوطنية وفهم الواقع في ضوء الماضي.

وظف المؤلف الرقص، ووصف لنا مشهدا مثيرا لرقصة التانغو الأرجنتينية، التي أداها "جاز" وميترا، وصفها بدقة متناهية توحي باطلاعه على الثقافة العالمية، حيث أفرد لها صفحة كاملة، يبدو للقارئ وهو يذكر تقنياتها في منتهى الدقة أنه مستمتع بها، وهي رسالة أخرى بضرورة الاتصال بالآخر، فالعزلة والصمت لا يجديان شيء وهذا ما اتضح لنا من خلال الجد "شريف" فالتعرف على الشعوب وثقافاتها يعزز الانتماء والتأصيل لثقافتنا.

كما يذكرنا بالشعب الأمريكي صاحب الحضارة العظمى بأنه مزيج من ثقافات متنوعة ومتعددة، ضبطها القانون والتعايش السلمي، وكذلك نحن في الجزائر مزيج من الأمازيغ والطوارق، وبني ميزاب فيمكننا أن نصنع حضارة نضاهي بها الأمم.

1- تأدية أغنية "جون كندر" والتلذذ بكلماتها، تلك الكلمات وما تحدثه في النفس من انتشاء وفرحة وحبور.

2- "كان يأتي خفيفا وناعما نيويورك.... نيويورك. أخيرا الجميع يأتي سأرحل اليوم الى نيويورك... زادي حذائي وحقيبتي مثل الجوال ".[1]

5-ج- الفكر والدين:

طرح "واسيني الأعرج" فكرة تعايش الأديان والتي ظهرت مجسدة في الأندلس، في أوج قوة الخلافة الإسلامية، يقوله: «هناك مدينة عظيمة في الأندلس الاسبانية اسمها طوليدو بالإسبانية وطليطلة بالعربية، جمعت في عمقها كل الأديان، وعرفت كيف تنسج المحبة بينها، منها خرجت الترجمات العالية القيمة، أنجزها مسيحيون ومسلمون ويهود مجمعين، تخيلي كان العالم أكثر اتساعا مي عالمنا اليوم".[2]

كأن الأعرج يبعث برسالة للعالم أجمع أنه لا تسامح إلا في ظل الإسلام، ولا تعايش إلا في رحاب العدالة الإلهية، إنه الفكر الذي يرفض القتل الإرادي للإنسان، ويفضل الحياة بقوله: «الرب منح الناس أرواحا وعلى هذه الأرواح أن تظل حتى يشاء هو استرجاعها»[3]

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص 96.
[2] المصدر نفسه، ص 11
[3] المصدر نفسه، ص32

هكذا يمجد الحياة، ويبحث عن التآلف بين البشر، لذلك لا يرى مانعا في التعايش السلمي لليهود والمسلمين دون إراقة دماء ودون التعدي على الحقوق: «قبل أيام كنت في مظاهرة مع عائلتي ضد بناء المستوطنات الإسرائيلية مع أنصار البيس-تاو تعرف من كان على رأس مسيرتنا؟ اثنان يهودي وفلسطيني، أعطيانا درسا كبيرا في التسامح بلا خطابات زائفة ولا كذب ولا جعجعة: نعوم تشومسكي وإدوارد سعيد.[1]

إنه يمقت التعصب الذي أودى بحياة الكثير من الناس ذنبهم الوحيد أنهم أصحاب فكر ودين، أنهم يؤمنون بالله الواحد الأحد، ويبرز ذلك بقوله: «الحرائق وهي تأكل الكتب والأوراق، وتجرجر الفقهاء والعلماء من المسلمين واليهود على مشارف المدينة... الثمانية قرون احترقت».[2]

يظنون بفعلتهم هذه سيقضون على كل فكر حر مغاير، كل فكر مبدع خلاق إنها الاسلاموفوبيا، والحقد الصليبي الدفين مهما امتدت السنون فسيظلون على نفس النهج «الديكورات العامة تتغير... لكن البشر الذين يسيون السوء هم هم ... سادة في كل زمان ومكان"[3]

العالم اليوم يخضع لهم ويسير وفق مقاييسهم، فهم الجلاد والضحية في آن واحد، فكل الهيئات الدولية تتآمر بأمرهم، هم بشر فوق كل البشر يقتلون يذبحون يحرقون ينسفون باسم سادة العالم وهذا ما يبرزه المؤلف: «والدي أخذ من بيته في البيجاما... قالوا له: تذكر ماذا فعلت ببلادك ومواطنيك؟ قال منحتهم العلم وسهلت عليهم الاستفادة من الرياضيات التطبيقية أتهم في جلسة علنية بالمثلية، وبالتعامل مع المخابرات السوفيتية... عذب طويلا هو وصديقه لينزعوا كل الأسرار الخفية من أدمغتهم وألسنتهم»[4]

كما أنهم يسعون لصدام الحضارات ... ورفض الآخر، وقد وجدوا في حادثة انهيار البرجين ما يثلج صدورهم... ويتخذونها ذريعة لتحقيق مآربهم: «لم يكن الذين جعلوا من نظرية صدام الحضارات إنجيلهم ينتظرون إلا ما يؤكد جنونهم، وهاهم قد منحوا الفرصة التي لا تعوض أبدا»[5]

وضح "الأعرج" الاختلاف الكبير بين أفكار الجيل القديم من المهاجرين والجيل الثاني، فتعريف الوطن أصبح له معنى آخر لديهم فقوله عن مايا: لم ترد أن تتعلق بأوطان لم تعد موجودة ولم تعد لها، وخوف شريف عن عدم رجوع مايا الى وطنها وأرضها طالما تزوجت إيطالي فقد يزداد بعدها، وينقطع حنينها فقال: «كنت أعرف أنها إذا تزوجت إيطالي لن تعود الى أرضها»، كما أن معارضته لهذا الزواج لم تستند

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق ، ص30
[2] المصدر نفسه، ص127.
[3] المصدر نفسه، ص45.
[4] المصدر نفسه، ص 45.
[5] المصدر نفسه، ص30.

الى مقوم ديني، وكأن البعد الطويل عن الوطن يأخذ من عقيدة الشخص ويغير أفكاره، فالمنحى الديني أصبح من القيم الثقافية التي تجمع في صندوق الذكريات وينظرون الى الجيل الأول نظرة قداسة واحترام.

إنه لوم الأحفاد للأجداد... هؤلاء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، لم يتخلوا عن دينهم وقيمهم. بل ثاروا دفاعا عنهم وعن شرفهم وكرامتهم وحريتهم، ومن ذلك ما حدث لسليم: صلى صلاة العشاء ولكنه لم ينته من أدائها، فقد انقضوا عليه كالضباع، ورغم سعي الجيل الأول تعليم أبنائه لغة أجداده وتذكيرهم بتاريخهم وانتمائهم كما قال "جاز" عن أمه: «علمتني لغة أجدادي في أقسى الظروف وأصعبها»[1]، إلا أن المجتمع الغربي له تأثيره الواضح، ومن الصعب استمرارية القيم والثقافة في ظل بيئة مغايرة تماما، وبكل ما تحمله من أنساق ثقافية واعتقاد ديني ومن ذلك حياة "جاز" مع "ميترا" دون زواج.

ما يفعله "بابا شريف" من قراءة القرآن على قبر مايا: «وضع باقة من الورود على القبر، وقرأ القرآن على روح مايا»[2] وما يقوم به لأجل استعادة التاريخ هو سعي لتواصل الأجيال وعدم تنصلها من وطنها وتاريخها الذي يضيء حاضرها ومستقبلها.

نلمس من خلال رواية "رماد الشرق" ثقافة واسعة، وفكرا نيرا لواسيني الأعرج، فقد أسهب في ذكر الشوارع، ووصف الأماكن مما أضفى جمالية وترابطا بينها وبين الأحداث والزمن، حتى لكأن القارئ يشاركه الحركية والحوار ويعيش القصة معه عنصر منها وجزءا لا يتجزأ من أحداثها، أسلوبه المتفرد يجذب البسيط والمثقف، فيخلق الأمل عندما تغيب فرص الآمال.

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق ، ص117.
[2] المصدر نفسه، ص 77.

الخاتمة

الخاتمة:

في نهاية البحث ندرج اهم النتائج المتواصل اليها وهي كالاتي:

- تعتبر ظاهرة الإسلاموفوبيا من المفاهيم القديمة والمستجدة في نفس الوقت، فهي قديمة قدم الدين الإسلامي نفسه، وحديثة إذ ظهرت بشكل ملفت للانتباه مع هجمات 11سبتمر2001، وتطورت مظاهرها واشكالها مع انتشار الاعلام الالكتروني بمختلف تطبيقاته الحديثة، حيث أصبح لا يخلو أي مجال من هذه الظاهرة، والتي لا تخرج عن حالة العداء والكراهية للإسلام والمسلمين، للتعبير عن أي حادثة او عملية عنف مادي او معنوي تحدث في الغرب، ومنه حاولنا رصد اهم تجليات "ظاهرة الإسلاموفوبيا" في رواية رماد الشرق.

- إن رواية "رماد الشرق" رواية ملحمية تستعيد قرنا من الحياة العربية من خلال حيوات متضاربة لأناس بسطاء، لا يستطيع التاريخ قولها ... وحدها الرواية بإمكانها اختراق اسرارها، فلا يمكن فهم ما يحدث اليوم من دموية وانتفاضات الا داخل هذا الغليان الذي أشعل القرن مخلفا وراءه تمزقات تراجيدية تراثية واثنية ودينية.

- إن القارئ لهذه الرواية يجد أنها حافلة بالأحداث التاريخية حيث قام "واسيني" باستجلاب مجموعة من الاحداث التاريخية وبتسلسل زمني وضمها الرواية، وكان الهدف من توظيفها هو إعادة رسم الحاضر في مرآة الماضي بالإضافة الى ذلك اثراء الصور والمشاهد الخيالية حتى تكسب الرواية جمالية وفنية.

في الرواية نجد الاحداث التاريخية يتكفل في بعض الأحيان الكاتب بهذه الوقائع وأحيانا أخرى تأتي على لسان احدى الشخصيات الحقيقية، وإما عن طريق شخصية متخيلة دخيلة وبذلك يحدث تمازج بين الوقائع التاريخية والاحداث المتخيلة فينتج نص متحرر من قيود وسلطة الزمان والمكان، كما وظف المؤلف لقطات من التاريخ العربي في القرن العشرين بطريقة متفاوتة، فنجده أحيانا يرجع الى الماضي وأحيانا أخرى في الحاضر، والغرض من ذلك هو تصوير وبناء رؤى جديدة، وكذلك يحمل هذا التمازج دلالات وايحاءات تخص الكاتب وحده.

- ارتبطت الاحداث التاريخية التي وظفها الكاتب كغيرها من الروايات بالأماكن والشخصيات التي لا نكاد نجزم انها ملاصقة للحدث فلا وجود لأحداث بعيدا عن عناصر الزمان والمكان والشخصيات.

- يعد الروائي "واسيني الاعرج" من اوفر الروائيين نتاجا، وقد لاقت رواياته انتشارا واسعا واهتماما من قبل الدارسين. وإن تفاوت التسلسل الزمني لديه ساعد الخطاب المتخيل على تنقلات سردية سريعة، مما مكنه من الحديث عن بطلي الرواية "جاز" و"بابا شريف" والتلاعب بالزمن حقب احداث الرواية، لنعيش من خلالها القضايا القومية العربية الراهنة.

- تلعب الشخصية الروائية المتخيلة بكل من البطل "جاز" وجده "بابا شريف " دور البديل للإنسان في الماضي والحاضر، حيث أفرد نصف احداث الرواية للحديث عن "شريف" البطل القومي بكل صفات

الشجاعة والتضحية والذود عن الوطن (فلسطين)، اما جاز فهو نموذج للإنسان العربي المغترب ذو أصول ممتزجة بين عربي وجزائري وفلسطيني وإيطالي ولبناني ...، رغم ذلك يحن لأصله الجزائري ويسعى لمعرفة تاريخه.

- يستعير الروائي من المكان مقوماته الأساسية، سواء كان مفتوحا او مغلقا، وذلك بتواجده عبر قارات العالم (الاندلس، أمريكا، الجزائر، لبنان، تركيا، إيران ...) ليكشف من خلاله عالمية الإسلام وتواجده في كل زمان ومكان.

- وظف الحوار لتحريك احداث السّرد، مركزا على المحاورة الجدلية التي تتوافق وطبيعة الظاهرة (الاسلاموفوبيا) التي تتمفصل بين الحاضر والماضي، كما برز الوصف في الرواية بشكل نادر وقليل لذكاء المؤلف حتى يجذب القارئ تاركا له مساحة لتخيلاته ومشاركته تصوراته.

- اما على المستوى الدلالي برزت الظاهرة من خلال انهيار البرجين بنيويورك، وتداعيات ذلك عل شخصية "جاز" وتأثره بالأعمال والسلوكات العنصرية اتجاهه واتجاه المسلمين، مما حرك بداخله رغبته في البحث عن هويته، فكانت صورة "سليم" ورفاقه اثناء اعدامهم دافعا قويا للولوج الى التاريخ والكشف عن خباياه وما عاشه العرب والمسلمون من اضطهاد وظلم.

- برز الصراع بين الانا والأخر في الرواية من خلال تشويه صورة الإسلام واتهامه بالإرهاب، مما جعل البطل "جاز" يقدم سيمفونيته للكشف عن الصورة الحقيقية "للانا" وايصالها للآخر حتى تتغير النظرة النمطية الراسخة في ذهنه.

- تجلى دور الاعلام والصحافة من خلال بث صور البرجين وهما يحترقان عبر القنوات الفضائية العالمية للتأثير على الراي العالمي، وكسب التأييد لمحاربة "الإرهاب"، وحشد الجيوش لتنفيذ اجندات صهيونية في فلسطين والعراق وليبيا وسوريا ...

- تعتبر رواية "رماد الشرق" لواسيني الاعرج رسالة مشفرة موجهة للفكر العربي للتخلي عن أفكاره البالية والاقبال على دراسة التاريخ دراسة موضوعية واقعية يستلهم منها ما يصحح به اخطاءه في الحاضر لتجاوز هفواته والسير بخطى ثابتة نحو المستقبل بكل ثقة وحزم وعزم، ومنه تأصيل الهوية العربية والإسلامية بالتسلح بأفكار إيجابية وراقية مستخدما المجال الفني في التحاور مع الاخر والتعامل معه، مع نبذ التعصب للدين والعرق، والسعي للعيش بسلام وإنسانية.

ملحق

- تقديم واسيني الاعرج
- ملخص الرواية
- قائمة المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات
- ملخص البحث

تقديم واسيني الأعرج

تقديم واسيني الأعرج:

واسيني الأعرج من مواليد **1954/08/08م**، بقرية سيدي بوجنان (تلمسان) أستاذ جامعي وروائي، متحصل على شهادة دكتوراه في الأدب،[1] يشغل اليوم منصب أستاذ كرسي بجامعة الجزائر المركزية والسربون بباريس، يعتبر أحد أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي.

يكتب باللغتين العربية والفرنسية، على خلاف الجيل التأسيسي الذي سبقه، تنتمي أعمال **''واسيني الأعرج''** الروائية الى المدرسة الجديدة التي لا تستقر على شكل واحد بل تبحث دائما على سبلها التعبيرية في العمل الجاد على اللغة وهزيقينياتها، فاللغة ليست معطى جاهزا ولكنها بحث دائم ومستمر.

لم يتوقف عن الكتابة منذ نصه الروائي الأول **''البوابة الزرقاء''** (وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر) الذي نشر لأول مرة في دمشق سنة **1981م** قبل أن يعاد نشره في الجزائر بعد سنة، وأثار اهتماما نقديا معتبرا، أصدر بعده روايته المعروفة **''نوار اللوز''** التي تدرس اليوم في العديد من الحلقات العلمية، في الكثير من الجامعات العربية.

لكن جدارة **''واسيني''** الإبداعية تجلت أكثر في روايته الكبيرة **الليلة السابعة بعد الألف** بجزئيها **رمل الماية والمخطوطة الشّرقية** التي حاور فيها ألف ليلة وليلة لا من موقع التاريخ ولكن من هاجس الرغبة في استراد التقاليد السردية الضائعة تحصل في سنة **2001م** على جائزة الرواية الجزائرية.

ترجمت بعض أعماله الى العديد من اللغات الأجنبية من بينها، **الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، السويدية، الإنجليزية، والاسبانية.**[2]

صدر له العديد من الأعمال، تتراوح ما بين القصص والرّوايات:

- ألم الكتابة عن أحزان المنفى –قصص 1980م.
- وقع الأحذية الخشبية –رواية 1981م.
- وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر –رواية 1981م.
- أحمد المسيردي الطيب –قصص 1982م.
- مصرع أحلام مريم الوديعة –رواية 1982م.
- نوار اللّوز -1983م.
- ما تبقى سيرة لخضر حمروش –رواية 1985م.

---

[1] رابح حدوسي، **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، دار الحضارة، بئر توتة-الجزائر، ط1، ض28.

[2] واسيني الأعرج، **كتاب الأمير (مسالك أبواب الحديد)**، منشورات الفضاء الحر، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، نوفمبر، 2004، ص3.

- النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية –دراسة 1985م.
- أسماك البحر المتوحش 1986م.
- ضمير الغائب –رواية 1990م.
- فاجعة الليلة السابعة من الألف –رواية.
- جنازة نجومها الحزين –رواية.
- رمل الماية –رواة 1993م.[1]
- رواية مرايا الضرير 1998م.
- رواية شرفات بحر الشمال (Librepoche)
- مضيف المعطوبين، 2005 (Librepoche)
- روايات كتاب الأمير، 2006 (Librepoche)
- رواية سوناتا لأشباح القدس، 2009م.
- رواية البيت الأندلسي 2011م.
- رواية جملكية أربيا 2011م.
- رواية مملكة الفراشة 2013م.
- رواية رماد الشرق الجزء الأول: خريف نيويورك الأخير 2013م.
- رواية رماد الشرق الجزء الثاني: الذئب الذي بنت في البراري 2013م.
- رواية سيرة المنتهى عشتها كما أشتهتني 2014م.
- رواية 2084... حكاية العربي الأخير 2015م.
- رواية سناء كازانوفا 2016م.

[1] سمر روحي الفيصل، **معجم الروائين العرب، جروس برس**، طرابلس-لبنان، ط1، 1995/1415م، ص484.

ملخص الرواية

ج-ملخص الرواية:

رواية "رماد الشرق" بجزئيها الأول "خريف نيويورك الأخير" والثاني " الذئب الذي نبت في البراري"، تحكي الخذلان العربي وسقوط فلسطين في يد الصهاينة، يريد الكاتب من خلال هذه الرواية تمثيل الحاضر وإسقاطه على الماضي عن طريق آلة الزمن بالرجوع للوراء.

ونحن بدراسة الجزء الأول من الرواية

- الجزء الأول من الرواية ينفتح على مشهد انفجار البرجين الكبيرين في نيويورك كحدث رئيسي في الرواية «كان البرج الشّمالي يشتعل وأدخنته تتصاعد عاليا لتتحول فجأة الى فرن عال لمصنع قديم»،[1] وعلى " جاز " وصديقته "ميترا" وهما يحاولان تعديل السيمفونية التي أراد جاز أن يلخص فيها حياة جده وانكساراته والذي شهد الحروب العربية في القرن العشرين «... جّدي يستحق أحسن من هذا ... لقد أحرق عمره وهو يبحث عن مسالكه المستحيلة داخل وضع معقد اسمه المسألة الشّرقية».[2]

- "جاز" هو شاب في مقتبل العمر، طبيب سابق موسيقي يعمل في أوبرا بروكلين من أصول عربية، ترك الطّب ليعود إليه مرة أخرى بعد حادثة الانفجار، يحاول "جاز" المساندة وتقديم يد العون لكنه يتفاجأ بالعنصرية التي لم يشهدها من قبل في نيويورك وهي المدينة التي لا تنام وتجمع كل من ظل الطريق وتسانده لينجح.

بعد مرور الحادثة يحاول "جاز" العودة الى العمل الموسيقي فيقرر الرحيل الى "طوليدو" «أشعر برغبة كبيرة بزيارة جدي وإقناعه بالمجيء... أستغل الفرصة للبحث في أرشيفه الذي لا أعرف منه إلاّ القليل والاستفادة منه للسيمفونية»[3]. أين يسكن جده "شريف" ليملأ له الفجوات التاريخية التي لا يستطيع ملأها بنفسه.

يتذكر "جاز" كل ما كانت تحكي له "والدته" "مايا" وما كانت تعانيه من تشظي الهوية «أمي ميثرا كانت دائما تحدثني وهي تبحث عن أعذار لتصلب والدها معها عن جد اسمه سليم، ... لم تكن تريد أن تثقل علي بهموم كانت تحس أنها ستسجنني أكثر مما تحررني من قيود التاريخ والهوية»[4]، ومن الشوق والحنين الى الوطن وتربته، والى المشرق بصفته المنبت الأصلي لها.

يجتمع "جاز" بجّده "شريف" الذي يبدأ رحلته عبر الزمن ويأخذ "جاز" في رحلة الذاكرة الى الوراء الى أيام الحروب العربية والى الانتهاكات التي تعرض لها الشرق فيرحل به الى فترة الحكم العثماني وما عاناه الشرق من ظلم الحكام العثمانيين في تلك الفترة خاصة من طرف "جمال الدين باشا"، الذي تسبب في قتل العديد من الجنود والمقاومين ذوي الأصول العربية، «منذ أكثر من يومين وهم يهيئون هذه المشانق وقد لاحظ سكان بيروت أن الأمر ليس غريبا على جمال باشا»[5]، من بينهم والد شريف "سليم الجزائري" الذي لازال شريف يتذكر حدث شنقه في ساحة عالية وما تلاه من أحداث طالت عائلة والده، وهي العائلة الكبيرة عائلة الأمير عبد القادر الجزائري في حي المغاربة.

يصف شريف لـ"جاز" البدايات الأولى للانسلاخ عن الحكم العثماني، وعن عذر البريطانيين ولورانس الذي كان يلعب بعقل الأمير فيصل وجعله أعمى يتبعه حتى وقع في الفخ لكن بعد فوات الأوان، يستفيق

---

[1] واسيني الأعرج، **رماد الشرق (خريف نيويورك الأخير)**، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص20.
[2] المصدر نفسه، ص 9.
[3] المصدر نفسه، ص76.
[4] المصدر نفسه، ص76.
[5] المصدر نفسه، ص163.

فيجد الشرق قد تمزق وقد قامت فرنسا وبريطانيا بإبرام اتفاقية سايكس بيكو لتقسيم الأراضي «يبدوا أن حكاية سايكس بيكو ليست فقط حقيقة ولكنه شرع في تطبيقها سريا، ليست مجرد كلام يشيعه الأعداء من الأتراك والألمان الفرنسيون والانجليز مصممون على تطبيقها وتمزيق البلاد العربية الى دويلات صغيرة تدين بالولاء للقوي العظمى»[1]

بعد اشتداد علة الرجل المريض الدولة العثمانية وانسحابها من بعض الدول العربية، ليستسلم في الأخير للبريطانيين لتبدأ حكاية جديدة وهي حكاية الوطن المفقود "أورشليم" أو حكاية الأرض المسلوبة فلسطين وعد من لا يملك لمن لا يستحق في القسم الثاني من الرواية "الذئب الذي نبت في البراري".

[1] واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1،مصدر سابق، ص231.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ/-المصادر

1. واسيني الأعرج، رماد الشرق خريف نيويورك الأخير، ج1، منشورات الجمل، بيروت، لبيان، ط1، 2013.

ب/-المعاجم

1. أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن، معجم مقاييس اللغة، ج3، 2011.
2. سمر روحي الفيصل، معجم الروائيين العرب، جروس برس، ط1، طرابلس، لبنان، 1995.
3. لطفي الشربيني، معجم مصطلحات الطب النفسي، ت، أوت، 2006.
4. مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984.

ج/-المراجع باللغة العربية

1. حسن لشكر، الرواية العربية والفنون السمعية البصرية، كتاب المجلة العربية، ع38، 2019.
2. الدراجي زروخي، خرافة الإسلاموفوبيا، ط1، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2001.
3. رابح خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، دار الحضارة، بئرتوتة، ط1، الجزائر، 2014.
4. فاتن غانم، تداخل الفنون في الخطاب النسوي، شعر بشرى البستاني نموذجا، دار فضاءات النشر والتوزيع، الأردن، 2015.
5. فيصل غازي النعيمة، الشعرية المحكي، دراسات في المتخيل السردي العربي، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2013.
6. واسيني الأعرج، كتاب الأمير، منشورات الفضاء الحر، ط1 الجزائر، 2014.

د/-المراجع باللغة الأجنبية

1. رينيه ويليك، كتاب مفاهيم نقدية، ت، محمد عصفور، جميل قاسم، فؤاد شاهني، رضا الشابي، مركز الانماء القومي، بيروت، لبنان، 1993.
2. فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والانسان الأخير، الولاية المتحدة الأمريكية، 1992.

هـ/-المذكرات الجامعية

1. اسماعيل وهينة، اللغة والهوية في روايات واسيني الأعرج، أطروحة دكتوراه، جامعة تبسة، 2019/2018.
2. فاطمة ياحمان، فضائيات الإعلام وفوبيا الإسلام، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، 2018/2017.
3. فتيحة العزوني، الكتابة الروائية عند واسيني الأعرج في ضوء جمالية التلقي، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2012/2011.
4. مشري موسى، جدلية العلاقة بين الاسلاموفوبيا وحوار الحضارات، ماجستير، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر.

و/-المجلات

1. بن أحمد نعيم من السردي إلى الثقافي مقاربة لرواية " رماد الشرق لواسيني الأعرج، مجلة المعيار، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، المجلد 1، ع 1، 01 جوان 2023.
2. جون اسبو زيتو، الإسلام والغرب عقب 11 سبتمبر: حوار أم صراع حضارات، سلسلة محاضرات، ع : 74 الإمارات العربية المتحدة
3. خالد الخزندار، المسلمون الأوربيون نحو أسلوب أفضل للتعايش، دراسات استراتيجية، ع 9، مركز الامارات للدراسة والبحوث الاستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، 1997.
4. عبيده وازن، فولتير أول من أطلق اسم الاسلاموفوبيا، مجلة دبي الثقافية، ع9، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 201
5. فرشته آذرينا، بناء الشخصية في رواية "رماد الشرق" لواسيني الأعرج، مجلة الكلية الاسلامية، الجامعة النجف الأشرف، المجلد، ع 41، سنة19972.
6. محمد أحمد النابلسي، الإسلاموفوبيا كمظهر لجنون العظمة الغربي، المجلة العربية للعلوم النفسية، ع38، 2015.
7. محمد خليفة الصديق، ظاهرة الإسلاموفوبيا، المغذيات والأهداف والرموز، دورية الراصد الالكترونية، ع : 156.
8. وشترى عيد مطر، الاسلاموفوبيا في الفكر السياسي الغربي.،الباحث، علي رمضان صالح، محلية تكريت للعلوم السياسية، ع11،.

/-المواقع

1. خالد سليمان، ظاهرة الاسلاموفوبيا، قراءة تحليلية، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية، 14 اكتوبر 2006 http://www.ashar galarabi.org.uk/markaz/m_abhath-56htm
2. https://dram.journals. ekbeg 2024
3. عاطف الجولاني: الأطروحات العربية والاسلامية في توصيف علاقة الغرب بالإسلام
4. 27-ابراهيم بن محمد الدوسري: الاسلاموفوبيا ت ن: ت ت 2018/02/16

http:// www islamgaffica.net/mone.php?catid=188, artid=46 http://www.aljazeena, het

الفهرس

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	///
مقدمة	02
الفصل الأول (مفاهيم ومصطلحات)	
1-مفهوم الإسلاموفوبيا	05
أ- الاسلام (لغة واصطلاحا)	05
ب- فوبيا (لغة واصطلاحا)	06
ج- ملابسات ظهور الإسلاموفوبيا	07
1- الجذور التاريخية للظاهرة	09
2- ارهاصات نشأة الظاهرة	11
3- أسباب ربط الإسلام بالمصطلح	18
الفصل الثاني (تمثلات الظاهرة على المستوى السّردي)	
1- قراءة في العنوان	27
2- الشخصيات	29
3- الزمان	34
4- المكان	36
5- الحوار	40
6- الوصف	43
الفصل الثالث (تمثلات الظاهرة على المستوى الدلالي)	
1- على المستوى الواقع الراهن	48
2- على مستوى الواقع التاريخي	52
3- أزمة الهوية والصراع بين الأنا والآخر	54
4- دور الصحافة والإعلام	61
5- المشروع	63
خاتمة	73
ملحق	75
تقديم واسيني الاعرج	77
ملخص الرواية	80
قائمة المصادر والمراجع	83
فهرس الموضوعات	86
ملخص الدراسة	88

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة

يتقاسم "واسيني الأعرج" مع القارئ ظاهرة الإسلاموفوبيا، من خلال روايته "رماد الشرق" خريف نيويورك الأخير، فيلج عالم هذه الظاهرة ويبحث عن أسبابها ومسبباتها، فيستحضر التاريخ ليضيء الحاضر، وينير المستقبل، معرجا على كل أحداثه وانكساراته، وآلامه، وكل مآخذه من "سايس بيكو" الى نكبة فلسطين. فيحاول كشف أسراره وخباياه، وكل مسكوت عنه، فيستدعي الشخصيات التاريخية لتمتزج مع تلك المتخيلة، ليعيش القارئ الأحداث، ويستلهم العبر، ثم يجمع شتاته حفاظا على هويته، وليغادر الهامش، فالمركز ليس حكرا على أحد.

Abstract:

"Waciny Laredj" shares with the reader the phenomenon of Islamophobia through his novel "Ramad Al-Sharq: The Last Autumn of New York". He delves into the world of this phenomenon, exploring its causes and triggers, invoking history to illuminate the present and enlighten the future, tracing all its events, fractures, pains, and its roots from "Saïs Pico" to the catastrophe of Palestine. He tries to uncover its secrets and hidden aspects, all that is left unsaid, summoning historical figures to blend with the imaginary, allowing the reader to live through the events, draw lessons, then gather their scattered pieces to preserve their identity and depart from the margins, for the center is not reserved for anyone.